هنوف الجاسر
@HnofBntKreem

قصّه

رجُل الثانيه عشر ودقيقه واحدة صباحاً

12:01 ص

رجُل الثانية عشر ودقيقة واحدة صباحاً

عنه :

رجُل الصباح الذي يحشر أنفُه في أشياء لا تعنيه لأجل إصلاحها فقط .

الإصلاح الذي يتناسب مع رغباته ومسيرة حياته وحياة الآخرين، إنه يضع فرضيات في رأسه يؤمن بها ثم يسعى لتحقيقها في حياة أحدهم وتعود له بالمنفعة .

ثُم يتظاهر أن هذه الأشياء حدثت من قُدرة السماء، ولن يشك احدهُم في طهارة يديّه من دماء الساعة والأيام والصُدف، إنه رجُل واحد، واحدُ وأخير.

،

*تنويه : مقاسات القصّة لا تُناسب جميع القلوب،

الإهداء

إلى أصدقائي الذين تربطني معهم علاقة حرف

إلى قلوبكم الكبيرة ، وصبركم الأكبر

إليك أنت ، الذي تبتسم لي الآن

مع كُل الحُب .

ديسمبر / ٢١ / ٢٠١٢ م

-١-

عندما وضع الخاتم على الطاولة، أسندت ظهري باستسلام على الكرسي وأطلقت تنهيدة طويلة وأنا أسمعه يقول: ما كان يجب أن نرتبط، لقد وجدت فتاة أحلامي.

-٢-

الحدث نفسه تكرر ثلاث مرّات في الثلاث سنوات الماضية ، كل شيء يكون مثالياً في البداية ثم استيقظ لأجد الرجُل الذي قدم لي الخاتم قد وقع في الحب.

-٣-

كان يتحدّث بإسهاب عن مدى شُكره وامتنانه لي على كل شيء فعلته لأجله، نبرته قالت لي إنه خائف من أن يجرحني، الجرح تكرر حتى أُصيبت مشاعري بالخدر.

-٤-

كُنت باردة في فستان أحمر طويل ، اشتريته خصيصاً لهذه المناسبة التي كنا سنتحدث فيها عن موعد الزفاف والبيت والأطفال ، اندفعت كثيراً هذه المرة!

-٥-

انتقلت إلى شقة جديدة في وقتٍ قياسي من أجلة، كي تكون المساحة أكبر لي وله ولأحلامنا الكبيرة، أردتها أن تكون مفاجأة، ظننته سيذوب في حبي أكثر.

-٦-

عاد من السفر البارحة، أردت أن أكون جميلة جداً لأفتح شهيته للحياة الجديدة التي سنكون فيها معا تحت سقف واحد وفوق أريكة واحدة وعلى طاولة واحده.

-٧-

لا أدري ، أعتقد أنّي خائفة من الوحدة أكثر من اللازم ،أردتُ أن أعيش مع رجُل يشاركني في كُل شيء ، ليس فقط الجُزء الآخر من السرير أو الخزانة.

-٨-

سبع وعشرين ليست سنا كبيرة ولا صغيرة لكنك إن لم تكوني فيها سعيدة فانتي حتما كبيرة ويائسة جدا، ياللحسره تركت هذه الفكرة الفاسدة في رأسي طويلا!

-٩-

أنهى حديثه ثم سألني متوترا: هل أنتِ بخير ؟ شد انتباهي الكأس الطويل في الطاولة، انعكاس الإنارة الصفراء جعلته براقاً فمددت يدي لأفرغه في جوفي.

-١٠-

أعدتُه إلى مكانة فارغاً بهدوء، ثم قُلت: هل أبدو لك أني أعاني من شيء؟ ابتلع ريقُه بصعوبة، رأيت ربطه عُنقه البابيون تتحرّك كي تسمح له بالعبور.

-١١-

هو يعلم أنها ليست المرّة الأولى التي أكون فيها الجزء اليابس من الزهرة والذي يجب قصّة، لأن فائدتُه معدومة ولأن الطرف الثالث في الحب يُفسده.

-١٢-

وقفت صلبة وأنا أنظر إليه، لما أشعر بالسوء على رجل خائن؟ لم يحبني بالقدر الكافي ليغض بصرة عن بقية النساء؟، سحبت حقيبتي وقلت: شكرا على لا شيء.

-١٣-

في طريق عودتي لحياتي شعرت بغصّة، ما زالت خياراتي فاشلة ولا زلت تلك التي تلهث وراء كل رجل يقترب منها ليشهد معها انتفاخ بطنها والركلة الأولى.

-١٤-

هذه المرة لم تستقبلني الحياة في حضنها بل استدارت عني للناحية الأخرى، شعرت بهذا عندما طال انتظاري لمرور سيارة أجرة ومشيت وحيدة على الرصيف.

-١٥-

أنا لا ألومها ، ذنبي لم أتوب عنه رُغم صفعات التأديب التي كانت تصفعني بها الأيام ، شعرتُ أني وحيدة وسط هذه المدينة التي لا تهدأ ولا تنام.

-١٦-

وقفت عند مطعم صغير في الزاوية، لوح معلّق على الباب "مفتوح" هذا ما أحتاجه الآن، امتنعت عن تناول شيء حتى اترك مساحة أتنفس فيها داخل الفستان.

-١٧-

كان مظهري ملفتاً جعل رؤوس الزبائن تلتفت وتراقبني وأنا أقترب من الطاولة الفارغة، كل شيء هنا طبيعي وأنا وحدي مغلفة بالساتان وملطخه بالمساحيق.

-١٨-

جلستُ بظهر مستقيم وأسرعت نحوي النادلة بفستان قصير أصفر تعلوه مريلة بيضاء ، ابتسامتها وردية وصوتها جميل حين قالت : كيف يُمكنني خدمتُك آنسه ؟

-١٩-

قلت: ماء، ثم رأيت طبق بيد نادلة مرّت بالجوار، شطيرة ضخمة تتصاعد منها خيوط رائحتها شهيّة جعلت معدتي تصرُخ، أشرت ناحيتها وأردفت: وهذا أيضاً.

-٢٠-

الحياة تمر سريعاً من وراء زجاج النافذة وأنا على الكرسي وفي فمي طعم خيبة جديدة، الأنوار الصاخبة والسيارات والعابرون، لا شيء يتوقف عندما أحزن.

-٢١-

هل يُعقل أني أحتفظ بثلاثة خواتم في غُرفتي رابعُها في إصبعي الآن، كانت ستأخُذني إلى بيت وأطفال وحديقة خلفية، إلى هذا الحد أنا جافّة من الأمل!

-٢٢-

توقفي عن النظر إليه وإلا ستؤذين عينك" أجفلني هذا الصوت المثير، رجل بسمرة فاتنة وملامح كلاسيكية ساحرة، أسند يده على طاولتي فزادت حرارة الجو.

-٢٣-

قال لي: أتسمحين لي؟ عقدت حاجبيَّ وقبل أن أنطق أردف بنبرة واضحة جعلت قلبي يخفق سريعا : امرأة بهذه الفتنة لن تكون في مكان متواضع كهذا دون سبب.

-٢٤-

ركز عينيه على عينيَّ لفترة قصيرة ثم ابتسم وسحب كرسي في طاولتي وجلس، قلت متوترة: هذا ليس لائق، قاطعني بصوت شهي: قرأت دعوة الاقتراب في عينيكِ.

-٢٥-

كنت سأطلب منه أن يتركني وشأني لكنه سبقني بالحديث قائلاً: إذاً، ماذا حدث؟ هل تخلّف عن موعدة؟، وقاحته أخرستني فأكمل بنظرة مُربكة : من حسن حظي.

-٢٦-

وجدت نفسي أقول فجأة: هو لم يتخلّف عن موعدة بل وقع في حُب فتاة غيري. عقد حاجبه الكثيف وقال: أخبريني، هل هو أعمى أم غبي؟ فاندفع الدم إلى وجهي.

-٢٧-

حاولت أن أكون أكثر صلابة وأنا أقول: لا أعرف ولا أهتم، ضحك وكتّف ذراعيه فبرز صدره العريض، قال ساخراً: وما هذا الذي في إصبعك؟ هل قفز إليه فجأة؟

-٢٨-

شعرتُ بالغضب، نزعته من إصبعي ثُم وضعته على الطاولة أمامه وقلت بنبرة قويه: رأيت؟ لست مهتمة. تأملني طويلاً وقال: جميلة، وجميلة أكثر عند الغضب.

-٢٩-

هبوط الطبق فيما بيننا قطع علينا الحديث، وضعت النادلة كأس الماء والخردل بعناية جانباً ثُم نظرت إليه وقالت : عُذراً سيدي ، هل تُريد شيء ؟

-٣٠-

قال لها: أنا هنا لأتناولها هيَ ، صغرت ابتسامة النادلة في تعجُب فقلت لها: شكراً لكِ. أحنت رأسها بلطف وغادرت،. انزلقت عينيه إلى عُنقي واستقرت.

-٣١-

قُلت له حانقة: هذه وقاحة كبيرة، استند على الطاولة وقال لي بهدوء: أحب أن أكون وقحاً، وسأكون وقحاً أكثر في أيامي القادمة معكِ، هل هذا يُزعجك؟

-٣٢-

أي نوع من الغرباء هذا ؟ يأتي فجأة ويسحب كرسياً ويقرر أن أكون جزءً من حياته ، وكيف لازلتُ على هذا الكرسي أمامه ؟ كيف لم أصفعه حتى الآن !

-٣٣-

قال: متى ستأكلين هذا؟ تجاهلته وأنا أمسك بشطيرتي الضخمة بأطرف أصابعي، كانت ثقيلة بالنسبة إلى شطيرة لحم، قضمت منها قضمة صغيرة وغرقت في النعيم.

-٣٤-

قلت له وطعم اللحم الشهي يذوب في فمي: عليك أن تحصل على واحدة، إنها الجنّة. فتحت فمي لأقضمها مرة أخرى فاندفعت الشطيرة بقوة وتلطخ وجهي بالصلصة.

-٣٥-

نظرت إليه غاضبة، قال بهدوء: لن يكون للشطيرة طعم إن لم يتلطّخ وجهكِ الجميل، والآن افتحي فمكِ لأقصى درجة. أحسَ بتردُدي وقال: هيّا، لا أحد هنا.

-٣٦-

تنفستُ بعمق ثم حاولتُ أن أدفع الشطيرة داخل فمي، سمعتُ عظم فكّي وآلمني هذا التمدد، قضمتُ قطعه كبيرة وسمعته يصفّق لي ويهتُف: أحسنتِ، هذا جميل.

-٣٧-

كُنت أختنق، شربت ماء وبصعوبة بالغة عبرت هذه القطعة الكبيرة في حلقي. صرخت: هل تُحاول قتلي!، أجابني بابتسامة لذيذة: لا ، أنا أحاول أن أُسعدكِ.

-٣٨-

لا أدري كيف استطعت أن أتناول الجزء المتبقّي من الشطيرة بهذه الطريقة، كان يُشجعني على أن أتسِخ أكثر، في أعماقي كُنت سعيدة بهذا الشارب الأصفر.

-٣٩-

شعرت بالحرية دون قوانين الطعام التي كنت أراجعها قبل الخروج في موعد، "موعد"! أعتقد أن هذا الوقت الذي يمر الآن بعيداً عن هذه الكلمة ... جداً!

-٤٠-

عندما عادت النادلة لتأخُذ الطبق كانت الساعة تُشير إلى الثانية عشر، وصلتني رسالة نصيّة في هاتفي من صديقتي "عُدت للمدينة، لدي أخبار سعيدة."

-٤١-

كنت سأكتب لها رداً لكنها سبقتني "هل أستطيع أن أراكِ الآن؟"، تجمّد إصبعي طويلاً لا أدري ماذا أكتُب، رفعت عيني فوجدته ينظر لي، كتبت "لدي موعد"

-٤٢-

في أقل من دقيقة وصلتني رسالة منها "ستخبريني عن كل التفاصيل" وختمتها بوجه يغمُز في خُبث. ابتسمت لها فقال: ما بكِ؟، أغلقت هاتفي سريعاً: لا شيء.

-٤٣-

هل سأخبرها أني خُطِبت للمرة الرابعة في الشهر الماضي والليلة تركني لأجل أخرى ؟
كنت أنتظر عودتها كي أفاجئها بخاتمي الجديد والآن انتهى كُل شيء.

-٤٤-

لا أريد أن أزيد قلبي وجعاً، يكفي هذا التناقض بين مظهرها وعمرها، هي تكبرني بعامين وتصغرني بعشره، تلبس التنانير القصيرة وتعود طفلة تنضح فِتنة.

-٤٥-

حين أكون جميلة هي تكون مثيرة، أنا كاتبة متعطلة وبائعه عطور يائسة وهي فنانة يتنافس على لوحاتها كبار الشخصيات في المزادات، لا أستطيع منافستها.

-٤٦-

صداقتنا عُمرها طويل منذ مرحلة الثانوية، رُغم أننا لم نلتحق بالجامعة ذاتها لكن تواصلنا لم ينقطع ، وجودها في حياتي نِعمة ونِقمة في نفس الوقت !

-٤٧-

كنا آخر اثنين في المطعم، طاولة قرب النافذة وضحكة جذابة وحُزن يتبخّر، يدنوا مني النسيان وتميل إلي الحياة مع ميول عقرب الساعة للدقيقة الأولى.

-٤٨-

وخ ومزعج ومثير للغضب لكنه مضحك و وسيم للغاية، في وقت قصير جعلني أمر في فصول مشاعري الأربعة، أقف مستقيمة الظهر أخشى ارتكاب سخافة وقوعي بِه.

-٤٩-

ساعدني على عبور الشارع قبل أن تتحرّك السيارات، كان ممسكا بيدي وأنا أجري خلفه، عندما وصلنا الرصيف، سمح لي بالقفز أولاً كي يتأمل دقّه خصري.

-٥٠-

سألته : لم تتحدث كثيراً عن نفسك. قال : سأخبركِ عن الأشياء التي تريدين معرفتها، وقبل أن اسأله عنها قال : ثلاثيني أعزب ، عاطل عن العمل حالياً.

-٥١-

أشار إلي بإصبعه قبل أن أنطق : لا تطلقي علي حكماً سيئاً ، تركت عملي البارحة وعُدت للمدينة اليوم، لا أستطيع أن أبقى على عمل واحد أكثر من سنه.

-٥٢-

لماذا ؟ أجابني : لأني لا أستطيع الالتزام بشيء للأبد، لا أحد يستطيع فعل هذا. إضافةً إلى الثروة التي أغرقني بها والدي. نظر للسماء وهتف : أحبك.

-٥٣-

همست: عجيب!، فقال متعجرفاً : أوه هذا ينطبق أيضا على الفتيات، لكن أنتِ .. توقفت خطواته فاستدرت نحوه وقلت: ماذا؟ اقترب نحوي وقال: استثنائية.

-٥٤-

نظرته أسرتني وقيّدتني عن الحركة، شيءً ما جعلني أبقى على الكرسي وأكون معه حتى هذه اللحظة، لديه قدرة عجيبة على تخديري، أهوي أمامه مثل ريشة.

-٥٥-

ابتسم بعذوبة : تبدين جميلة وأنتِ مفتونة بي. ضحكت وأنا أشعر بضجة في قلبي، تجاوزته قائلة : أنت مغرم بنفسك كثيرا، سمعته يقول : ستغرمين بي أكثر.

-٥٦-

زادت حلاوة الوقت بعد الدقيقة الأولى أكثر وأكثر، مع كل حركة لعقرب الساعة كنت أشعر أني أذوب في سمرته، صوته الرزين بالغناء جعل في قلبي زهرة.

-٥٧-

حين تكهّن بدهاء بنوع الموسيقى التي أحب وبطلي المفضّل و هوَسي الكبير بالنظافة، جعلني أتسأل في دهشة: هل سبَق أن التقينا ؟ رُبما في حياة ماضية.

-٥٨-

استنتاجي هذا أضحكني، منذ متى وأنا أؤمن بهذه الأشياء! حينها التقت عينه بعيني وأنا أنظر إليه، تمنيت ألا يلمح افتتاني به، التواء شفتيه خيب ظني.

-٥٩-

كانت الساعة الثالثة صباحاً حين وصلنا العمارة التي أسكن فيها، ترك على باطن كفي قُبلة دافئة، قال إنها عطرها يدوم طويلاً هنا ولسببٍ ما صدقتُه.

-٦٠-

أذكر أنه قال لي: أنتِ واقعة بي الآن. ثم وجدت نفسي ثقيلة فوق سريري بأقدام عارية وفستان مرهق. هربت فكرة الاستحمام حين أقبل النوم يبتسم ويتغزل.

-٦١-

لم أتذوّق في حياتي نومه ألذ من هذه ، شعرت أني تصالحت مع الحياة تماماً وتصالحت هيَ معي ، وجدت نفسي مطمئنّة وفارغة من كل أشيائي المثيرة للقلق.

-٦٢-

جاء الصباح صاخباً يقفز فوق السرير ويهتُف : استيقظي. صوتها الطفولي لا يزال ورديا وساقيها النحيلان مثل خزف ابيض. هبطت عليَّ بفستان أصفر صارخ.

-٦٣-

رفعت إليَّ بنصراً يتزيّن بخاتم ماسّي جميل وقالت وعلى وجهها فرحة كبيرة : لقد وقعت في الحُب. شيءً ما حدث هذه اللحظة جعلني أصرخ : وأنا أيضاً !

-٦٤-

شاركتها القفز فوق السرير حتّى تعثرت أقدامنا وسقطنا معاً ، أصوات ضحكاتنا صاحبتها قلوب حمراء طائرة. حين رفعت بنصرها مجدداً قالت : أليس جميلاً ؟

-٦٥-

أخبرتني أنهما تقابلا في متحف، وقعا في الحُب سريعاً، وهي سعيدة معه أكثر من أي وقت مضى. كان واضحاً هذا الحب في عينيها وصُبغه شعرها الجديدة.

-٦٦-

سألتني عن سِر الفُستان والكحله النائمة تحت عيني، تملصتُ من الإجابة فقالت لي : أستطيع أن أرى فيكِ بقاياه. يبدو أنكما قضيتما الليل بطوله معاً.

-٦٧-

وقع تخمينها على قلبي لذيذ رغم أنه ليس صحيح، لم أرغب بإفساده على نفسي. سحبتُ منشفتي واندفعتُ تحت الماء. تمايل قلبي على صوت دندنتي السعيدة.

-٦٨-

تناولنا فطائر المافن، أخبرتني أن خطيبها سيأتي على العشاء لأتعرف عليه وألحت علي كثيراً. ولم أمانع أبدا، كنت في حالة قد أوافق فيها على أي شيء.

-٦٩-

غادرت شقتي بفستان رسمي يقول للصباح : أفسح لها الطريق. كنتُ خفيفة على غير العادة. تركتُ شعري يرقص بحرّية على كتفيَّ وفي شفتي توت أحمر ناضِج.

-٧٠-

ما أعرفُه حتماً هو أني سعيدة. سعيدة جداً للحد الذي لا أستطيع التوقف فيه عن الابتسام. زميلاتي في المحل لاحظن هذا حين نطقت : مرحباً. ملحّنة.

-٧١-

انتصف النهار ومال الجو للبرودة الخريفية. اتصلت صديقتي لتذكرني بأنها بحاجه لمساعدتي في إعداد العشاء. حين أغلقت الهاتف جاءني صوت مألوف: أهلاً.

-٧٢-

كأنه يعرف أني كنت على وشك الغرق في التفكير به. وضعت يدي على صدري : أنت!، اقترب نحوي وهو يقول : نعم، الرجل الذي جعلكِ جميلةً جداً هذا اليوم.

-٧٣-

حاولت أن أقاوم ابتسامه خجولة وأنا أقول: أنا جميلة وهذا الأمر واضحاً لا يحتاج إلى رجل. قال وعينه تتفحصني بدقه: لا أظن، أنتِ جميلة فوق العادة.

-٧٤-

سرت في جسدي رجفة، كيف استطاع معرفه هذا؟ أخبرني أنه ذهب إلى شقتي وأخبرته صديقتي أني خرجت للعمل وأعطته العنوان، سألني: كيف تبيع الزهرة عطورها؟

-٧٥-

أجبته: لكل زهرة عطر واحد وعطري لا يُباع. قال : يُهدى؟. قلت : لمن يستحق. قال: وهل أستحق عطركِ؟ قلت: لا أدري. قال: كيف؟ قلت: توقف عن فعل هذا.

-٧٦-

لا أدري مالذي يحدث لي أمامه. أفقد رزانتي وتوازني يختل، رأيته يبتسم منتصراً، كيف لا أستطيع أن أصفعه الآن؟ لما كل هذا الضعف والهشاشة يا قلبي !

-٧٧-

استند على المكتب أمامي وقال: حسناً، أريد عطراً يقول : أنتِ مثيرة لكني لا أستطيع أن أكون معكِ. تسمّرت لحظة وخفق قلبي سريعاً. خشيت أن يكون لي!

-٧٨-

سألته وأنا أتظاهر بالانشغال في ترتيب قنينات العطور على الخزانة : لَمن؟، جاء صوته مريحاً: لإحدى الصديقات، خرجت عن قائمتي للنساء المتوفرات.

-٧٩-

ألقيت عليه نظرة مشمئزة وقلت: أنت مقرف. إلتوت شفتيه وقال: أعلم هذا صدقيني. والغريب في هذا الموقف أني لم أستطع أن أكرهه، رغم هذا السوء الفاضح.

-٨٠-

وضعت العطر في كيس وقدمته له، قال : وددت لو تقفزين في الكيس فأخرج بكما الاثنان. أسندت رأسي على يدي وقلت وأنا أنظر إلى عينيه بسخرية: أنت تحلم.

-٨١-

أمسك يدي فجأة وسحبني من وراء المكتب، جرّني إلى الوسط ثم رفع صوته قائلاً : هل تمانعون إذا استعرت هذه الجميلة للغداء ؟ أعدكم أن أعيدها كاملة !

-٨٢-

كنت أقف إلى جانبه بعودٍ غض، شعور لذيذ اندفع من دفء قبضته على معصمي إلى قلبي، زميلاتي يأشرن لي كي أقبل دعوته، تمنيت أن تدوم هذه اللحظة للأبد.

-٨٣-

حين تركني كي يُقنع مديرتي، اندفعنَ زميلاتي وفي أفواههن تتزاحم الأسئلة، كُنت أجيبهن وعيني تنظر إليه، كيف استطاع إخفاء عقده حاجبيها الدائمة !

-٨٤-

رأيته ينحني إلى أذنها ويقول شيئاً جعلها تضحك، طبع قبلة على كفّها ثم عاد إليَّ وسحبني من بين زميلاتي وهو يقول : معذرة يا فراشات سأقطف الزهرة.

-٨٥-

لا أدري كيف ابتسمت وتلونت وجنتي وأنا أعرف أن الزهرة تموت إذا قطفت، كيف خرجت إلى جانبه بهذه السعادة الكبيرة في قلبي وأصابعي خجولة بين أصابعه.

-٨٦-

كل الأشياء في الخارج بدت أكثر حياة، شعرتُ وكأنها تشاركني سعادتي وتحتفل بي، الأشجار مطليةً بالذهب وأزهار الرصيف تتمايل مع شعري وطيّات فستاني.

-٨٧-

لم أفكر في المطعم أو وجبه الغداء التي سنتناولها معاً، كنت سعيدة فقط لمجرّد أني سأقضي بقيه النهار معه، شيءُ ما فيه يعيدني للطفولة والمراهقة.

-٨٨-

عبرنا الممر الخشبي في البحر، برودة الجو جعلتني أتأبط ذراعه بشدة، اعتذر لأنه لم يرتدي سترة ليعيرني إياها وعرض على حضن طويل، عاندت قلبي ورفضت.

-٨٩-

كنت أجلس في مقعد بعيد أنظر إليه، كان يتحدث مع بائع الشطائر المتجول ويضحكان معا، حين أشار بيده نحوي هز البائع رأسه وابتسم، عاد ومعه كيس ثقيل!

-٩٠-

أخبرني عن كذبته، قال للبائع أننا متزوجان وتعرضنا للسرقة، حين أشار إلي سأله : هل ستساعدني في إسعاد جميلتي؟ معدتها فارغة وطفلي جائع في جوفها !

-٩١-

صُعقت، بينما هو تناول شطيرته بهدوء وحين أحسَّ بدهشتي التفت نحوي وقال ببرود : ما بكِ حبيبتي؟ بصعوبة نطقت: أنت رجُل لا أستطيع استيعابك أبداً.

-٩٢-

قال: ستتعبين إذا حاولتي هذا، تناولي شطيرتكِ الآن قبل أن تبرد. قال هذا وعاد يتناول شطيرته، قلت وأنا أدس يدي في الكيس: أنا فقط أحاول أن أفهمك.

-٩٣--

وجدتُ في صمته شجاعة كي أُكمل حديثي : أعني، واضحٌ أنك غني لما لم تدفع له المال ؟ ولماذا تلُف نفسك بهذا الغموض، هل تفعل هذا معي أم مع الجميع؟

-٩٤-

نظر إلى عينيَّ طويلاً ثم قال : لا أعرف. ثُم أشاح بوجهه ناحية البحر وصمت. دون أن أشعر رفعت يدي ووضعتها على يدُه وأنا أقول : لا بأس في هذا.

-٩٥-

قبض على أصابعي وقال بصوت جذاب: فعلت هذا فقط كي تضعين يدكِ هُنا، أعلم أنها باردة وأريدها أن تذوبُ في يدي، لمحتُ في عينيه أمواج مشاعر تتلاطم.

-٩٦-

سحبت يدي بقوّه قبل أن تذوب ويذوب قلبي معها، قُلت وأنا أشعر بتوتّر شديد : أتمنى أن أقتلك الآن، أنت تعبث في أعصابي. ضحك وقال : تبدين جميلة.

-٩٧-

دعوت الله أن يطول النهار، أن يكون هذا العام كله نهار، أريد أن أعيش في هذه اللحظات للأبد، أعلم أنه رجل مُتعِب لكنه لا يكف عن إسعادي وإضحاكي.

-٩٨-

بعد أن ملأنا معدتنا بالشطائر المسروقة تناولنا فطائر محلاة مع القهوة، والغريب أنه عرفَ قهوتي المفضّلة دون أن يسألني ، وضعها في يدي مبتسماً.

-٩٩-

كنا نجلس على رمال الشاطئ نتأمل احتضار الشمس، وضعت القطعة الأخيرة من الفطيرة المحلاة في الكيس واحتضنت كوبي الدافئ، كان مستلقي إلى جانبي يدنن.

-١٠٠-

كنت مسترخية وأنا أسمع صوته المختلط بصوت أمواج البحر، شعرتُ به يعتدل في جلسته ويلتصق بي، غرس أقدامه العارية بجانب أقدامي المغروسة في الرمال.

-١٠١-

كيف استطاع أن يقنعني بالجلوس على الرمال رغم أني أخاف الجراثيم أكثر من الموت؟ كيف جعلني أتناول شطيرة من بائع متجول؟ وكيف يجعل كل شيء بي يضحك؟

-١٠٢-

هبّت نسمة باردة أعادت خصلتي العنيدة من وراء أذني إلى وجهي، رفعت يدي لأعيدُها لكنه أوقفني قائلاً : لا تفعلي هذا، أنتِ هكذا أجمل، أجمل بكثير.

-١٠٣-

اشتبكت عيني بعينه بنظرة طويلة، ارتفع فيها صوت الحب في قلبي، هذا التطور السريع في مشاعري نحوه يخيفني، أريد أن أتريّث لكن لا أستطيع، وقعت به !

-١٠٤-

أعلم أن سعادة كبيرة كهذه لن تدوم، قطعها اتصال صديقتي في لحظة الغروب وهي تصرخ في وجهي على تأخُري، أخبرتها أني قادمة الآن وقلبي حزين على هذا.

-١٠٥-

وقفتُ وأخبرته وأنا أزيح التراب عن فستاني بأني ذاهبة، أخذ حذائي وأزاح عنه التراب ثُم ساعدني على ارتداءه، قال لي حين استقام ظهره : خذيني معكِ.

-١٠٦-

قلت : لا أظن أن فكرة البقاء مع فتاتين في مطبخ تُعجبك. قال : هذا يعتمد على صديقتك، هل هي مثيرة مثلكِ؟ هل سترتدين فستان قصير تعلوه مريلة أقصر ؟

-١٠٧-

ضربتُه في صدره وقُلت : حاول أن تكون أقل وقاحةً من أجلي، رفع حاجباً وقال : لقد بذلتُ ما في وسعي طيلة النهار، لم أستطِع أن أقاوم جمال ساقيكِ.

-١٠٨-

أعلم أنه يستحق صفعة قوية، لكنِ لم أقدِر على فعلها، وجدتُ نفسي أضحك في خجل وأنا أبتعد عنه، اقترب نحوي حتى مال ظلّة إلى ظلي وتشابكت أصابعنا.

-١٠٩-

أوصلني إلى عمارتي وساعدني على النزول من السيارة، شكرته على كل شيء بثرثرة مرتبكة، ضحك وأمسك يدي التي كانت تتحرّك بتوتّر وقال : اهدئي قليلاً.

-١١٠-

انفلتت من فمي ضحكة حمراء وقُلت : آسفة، لا أعرف كيف أشكرك. قال : رُبما دعوة للداخل ستفي بالغرض. قلت : لا أستطيع، أخبرتك أني سأنشغل مع صديقتي.

-١١١-

ثم جاءت فكرة دعوتُه على العشاء هذه الليلة، على الأقل لن أكون الضيف الغير مرغوب بِه بين عصفوريّ الحُب، دَعوته وقبِل الدعوة وقفزتُ إلى شقتي.

-١١٢-

كان المساء جميل رغم هذه الفوضى العارمة في المطبخ، تكفّلت أنا بإعداد الحلوى وهي أعدّت العشاء والمقبلات، تؤمن أن أقصر طريق لقلب الرجل معدته.

-١١٣-

لم أخبرها عن نهاري المسروق من رواية حُب عتيقة، كانت مشغولة ومتوترة لأنها المرة الأولى التي تطبخ له فيها، لم تُدرك أني أشاركها الارتباك نفسه.

-١١٤-

خرجت من المطبخ لأجدها قد أعدّت الطاولة لثلاثة أشخاص، تركتُ مساحةً من أجله وضعت فيها طبق، ابتسمت لانعكاسي الوردي على إناء الزهرة في المُنتصف.

-١١٥-

وضعت قدمي الأخرى في الحذاء وارتفعت عن الأرض، كنت أقِف أمام المرآة بفستان أسود دافئ، شعري متموّج على أكتافي، خط أسود ثقيل يمتد على جفنُ عيني.

-١١٦-

هل بالغت في هذا؟ أجابتني صديقتي حين دخلت إلى غرفتي بفستان أبيض مطبّع بالزهور الهادئة، حذائها ليس رفيعاً وشعرها منسدل في ضفيرة على كتفُ واحد.

-١١٧-

تسمّرت في مكانها لحظة، كانت يديها على شحمة أذنها تحاول أن تغرس فيها قرط طويل ينتهي بلؤلؤ وردي. قالت لي بإعجاب: هل تنوين سرقة خطيبي يا مجرمة!

-١١٨-

ضحكت وأجبتها : لن أكون مرئية له وأنتِ إلى جانبه صدقيني. كنت صادقة في هذا، مظهرها طبيعي ومنعش وأنا أبدوا كمن تستجدي رجل بفستانها وكحلة عينها.

-١١٩-

لست متأكدة من شيء عدا أني سعيدة جداً حدّ الخوف، في كل مرّة ابتسم لي الحظ فيها صفعني في النهاية، لذا صرت أتفاءل بحذر مفرط يجعل أفراحي مبتورة.

-١٢٠-

توقفت إلى جانبي في المرآة فأتاحت لي مجال مقارنتي بها، حين انتحت لتأخذ ملمّع الشفاه، ارتفعت عيني إلى لون العنب القاتم في شفتي. فتقلّصت ثقتي.

-١٢١-

قالت: إذاً متى ستخبريني عنه؟ نظرَت إلى وجهي في المرآة بابتسامة لؤلئيه، أجبتها بمراوغة: من؟ استدارت نحوي وتفحصتني بعينيها وقالت: عن هذا كله.

-١٢٢-

أردفَت بنبرة هادئة : لم أراكِ بهذه السعادة الكبيرة منذ أن عرفتكِ، أستطيع أن أرى نورها في مسامات وجهكِ. الصدق الذائب في حديثها أبكى قلبي.

-١٢٣-

لا أستحق صداقتها، طيبتها معي تُشعرني بالذنب في كل لحظةٍ غيرة تمنيتُ فيها أني لا أعرفها. سحبتني بهدوء إلى صدرها وأخبرتني أنها سعيدة من أجلي.

-١٢٤-

رنين الجرس كسر هدوء هذه اللحظة، تركتني صديقتي لتفتح الباب. أزحت شعري للوراء وتنفست بعمق، أخذت قنينة العطر وضغطت رأسها على عنقي وابتسمت بقلق.

-١٢٥-

خرجت وقابلتني صديقتي وهي تقول بصوت أقرب للهمس: لم يأتي وحدة، جاء معه صديقة ومعه خطيبته، ثم أمسكت يدي قبل أن أنطق وتوسلتني: أرجوكِ لا تغضبي.

-١٢٦-

ابتسمت لي كي لا أغضب، مشاعري التي تزاحمت في صدري هذه اللحظة بعيدة كل البعد عن هذا، كنت حائرة وخائفة ومتوترة، شعرت بها تمسك يدي وتسحبني معها.

-١٢٧-

حين اقتربنا إلى غرفة الجلوس أحسستُ بشيء ثقيل يزحف إلى قلبي، صوت الضحكة الخشنة التي التقطتها أذني كانت لاذعة ومالحة، كأنها جاءت من الماضي.

-١٢٨-

دلفتُ للداخل معها لأجد صاحب الصوت المالح يجلس هُناك يبتسم إلى الرجل الذي قضيت معه هذا النهار، كانت تجلس في حضنه سمراء نحيلة بشعرٍ أشقر طويل.

-١٢٩-

قفزت صديقتي إلى خطيبها وجرته من المقعد، حين وقعت عينه علي اختفت ابتسامته وتجمّد وجهه، كانت تعرّفنا على بعضنا وهي تتأبط ذراعه بسعادة كبيرة.

-١٣٠-

لم يصفعني الحظ هو قتلني ببساطة، خطيبي تركني لأجل أخرى، حتماً لم يتخيل ولو للحظة أنها قد تكون صديقتي، هي مليئة بالحياة وأنا فارغة منها تماما.

-١٣١-

يقتله العار أمامي وأنا أنظر إليه ببرود، صافحته وسألته عن الحال ولا أظنه أنه أجابني، قلبي كان يحتضر في صدري، ظهري متصلّب وروحي جاثية وباردة.

-١٣٢-

صديقتي تنظر إليَّ بوجهٍ مبتسم وهي تحدثني عنه، رأيتها تطبع قُبلة على وجنته فالتفت إليها وابتسم لها في حب، قاومتُ عبرة عنيدة وابتسمت في مرارة.

-١٣٣-

اكتملت دائرة الخيبة عندما انظم إليها صديقه ومعه خطيبته الشقراء، حين صافحته ابتسم لي بهدوء وهو يقول: أهلاً يا جميلة، هذه خطيبتي، فابتسمَت لي.

-١٣٤-

كانت ضئيلة جدا يستطيع أن يحشرها في جيبه، صافحتها ولمحت في إصبعها خاتم، حين رفعت يدها لتزيح شعرها الكثيف عرفت أنه خاتمي الذي نسيته في المطعم.

-١٣٥-

نظرتُ إليه فعرفَ أني اكتشفت هذا، أردت أن أبتعد عن هذا المكان، شعرت أني أختنق. قلت في عجل : سأعد القهوة. ثُم هربت وتبعني وهو يقول : سأساعدكِ.

-١٣٦-

وضعت يدي على فمي لأكتم شهقاتي التي تزاحمت، بكت عيني بصمت، كنت أتناثر حزناً وخيبة، تمنيت لو أن وراء باب المطبخ حياة أخرى وذاكرة بيضاء جديدة.

-١٣٧-

خرجت للشرفة أريد أن أستنشق هواء نظيف، جففت درب الدموع في خدي بأصابع ترتعش، ستكون فكرة القفز الآن مريحة، أكثر راحة من العيش كدمية بجلدٍ بشري.

-١٣٨-

شعرتُ بدفءٍ على ظهري وحين استدرت وجدتُه واقفاً، يفصلني عنه سنتيمترات قليلة، قال لي بجديّه : صدقيني، إنها لا تعني لي شيءً، توقفي عن البكاء.

-١٣٩-

سألته وأنا أختنق : هل تعتقد أني أبكي بسببها الآن ؟ رفع يده إلى وجهي فأبعدتها وأردفت : توقّف أرجوك عن العبث بي، أنت خدعة كبيرة وأنا وقعت بها.

-١٤٠-

قال : لا تبكي أرجوكِ، أعلم أني غبي وأحمق و وقِح، قاطعته بمرارة : لا ، أنا الغبية التي ظننتُ أنك تعرفني من حياة أخرى، مصدرك هو خطيبي السابق.

-١٤١-

كيف استطعت أن تخدعني إلى الحد؟ كيف جعلتني أقع بك في وقتٍ قياسي؟ هل كان هذا تحدي؟ ومالجائزة إذاً؟ قلبي المفطور مغلّف في صندوق أم هي الشقراء؟

-١٤٢-

أخبرني ، كيف قدمت لها خاتم سرقته من امرأة؟ هل فكرت بي وأنت تفتح لها باب سيارتك؟ أم كنت تفكر بها وأنت برفقتي تلك الليلة؟ أين قلبك من هذا كله؟

-١٤٣-

كيف لا تزال تقف هنا ؟ وتنظر إلى عيني بعد كل هذا الذي فعلته ؟ كيف لا يزال هو مع صديقتي بعد، قاطعني وهو يُمسك بذراعيَّ بشدة : هو لا يعرف شيء.

-١٤٥-

ارتفعت يديه لتصل إلى أكتافي حين قال : أنا فعلت كل هذا، سأخبركِ بكل شيء فقط دعي هذه الليلة تمُر بسلام. لمعت عينه حين أردف بهدوء : أرجوكِ.

-١٤٦-

هدأت فجأة حين التصق جلدي بجلدة الأسمر، تخدرت خيبتي وغفى حزني، طوقتني عينيه بدفء عجيب، أجهل كيف يفعل هذا بي وأجهل كيف يتركني قلبي ويميل نحوه.

-١٤٧-

جاء صوت صديقتي كالإبرة، غرست البالون الذي كان يعزلني عن العالم معه، هبطت أقدامي على أرض الواقع، كانت تقول قبل أن نفاجئها : أين القهوة؟

-١٤٨-

ارتبكت بينما هو تركني وتقدم نحوها يقول بهدوء وابتسامة : المعذرة يا حلوتي، كانت تحدثني عن الحي. وضعت يديها على خسرها الدقيق وقالت : حقاً !

-١٤٩-

قرصت أذنه وهي تقول غاضبه : متى ستتوب عن هذا، خطيبتك تجلس على بعد خطوتين منك فقط. تظاهر بالألم وهو يقول : حسناً يا أمي، سأذهب إليها الآن.

-١٥٠-

حذرتني منه بينما كنا نعد القهوة لأنه رجل لعوب. عرفته قبل خطيبها وفي الحقيقة هو من دبّر لهما صُدفة، ابتسمت حين تذكرت هذا ووقعتُ أنا في حيرة.

-١٥١-

حيرتي هذه لازمتني طيلة الليلة، كانت الأسئلة تعصف في ذهني وتهدأ ألف مرة، كُنت مشتته ولم استطِع أن أتجاوز هذا السؤال : لما قد يفعل شيءً كهذا ؟

-١٥٢-

ملعقتي تتحرّك في طبقي ببرود، عيني تنظر إلى خطيبي السابق وحين تلتقي بعينه تتجمّد ابتسامته ببطء فتميل عدستي للآخر الذي كان ينظر إليَّ طويلاً.

-١٥٣-

ارتعشت لعينيه الماكرة، خدّرت قدرتي على الحركة فاشتبكت عيني بعينه بنظرة طويلة، كنت اسمع فيها نبضات قلبي وصوت في رأسي يقول: توقفي عن هذا الآن.

-١٥٤-

"حقاً!" قطعت هذه الكلمة الخيط الرفيع الذي كان بين عيني وعينه، لا أدري كيف خرج هذا الصوت القوي من ثغر خطيبته الصغير، بهدوء قال لها : ما بكِ ؟

-١٥٥-

قالت بغضب واضح على جبينها : قبل ساعات قليلة كنت راكعاً أمامي على ركبه واحدة والآن لا تستطيع أن ترفع عينك عن هذه. التفتت نحوي وأردفت : معذرة.

-١٥٦-

كان ينظر إليها بهدوء قاتل. قالت لها صديقتي في محاولةً منها لتهدئه الجو: لا بأس، سيعتذر لكِ. هزّ رأسه ببرود وقال: لا لن أفعل، وسترحل هي الآن.

-١٥٧-

هبط صمتُ مفاجئ علينا، كانت تنظر إليه بخيبة كبيرة بينما هو يرتشف كوب العصير دون اكتراث، قال خطيب صديقتي: هذا ليس لائق يا رجل، إنها خطيبتك.

-١٥٨-

أشارت بيدها نحوه كي يصمُت وجفنيها تتثاقلان بالحزن، قالت له بصوت خائب: ظننتك تغيرت، لا تزال عديم القلب والمشاعر والضمير. شعرتُ بانفطار قلبها.

-١٥٩-

لا أظنني الوحيدة في هذا، جسدها النحيل لم يستطِع أن يبتلع صوت حُطام قلبها فكان واضحاً حتى في سُمرتها المزيفة، حين انسابت دمعه صفراء على خدها.

-١٦٠-

قال دون أن ينظر إليها وفي يده كوب العصير فارغ : قلت أنكِ راحلة الآن، لما لا تزالين هنا؟ نزعت خاتمها ووضعته على الطاولة وقالت : سأخبرها شيءً.

-١٦١-

ثم أدارت عينيها الغارقتين نحوي وقالت لي بنبرة أخافتني حدّ الهلع : إنه لكِ الآن، أهلاً بكِ في الجحيم. أخذت حقيبتها ومعطفها من الكرسي ورحلت.

-١٦٢-

لم ترحل وحدها، أخذت معها هدوئي وراحتي وسكينتي، تركت لي القلق والخوف والتوتّر، كنت ممتلئة وأصبحت خاوية فجأة، قلب خائف معلّق في جوفي ويتمايل.

-١٦٣-

هذه المشاعر التي مررت بها في وقتٍ قصير أفقدتني رغبتي بالحياة، أردت أن تبتلع الأرض أقدامي المحشورة في الحذاء تحت الطاولة ولا تترُك مني شيءً.

-١٦٤-

جذبتني سمرته وملامحه الكلاسيكية الفاتنة، استقامة أنفه وشعر ذقنه الخفيف، وقعت به بكل غباء ونسيت أن الأشياء القاتلة تأتي في طرود جميلة ومغرية.

-١٦٥-

كيف لم أتوقف عن الاندفاع نحوه عند أول ظهور لمساوئه تلك الليلة؟ حديثه الوقح وعينه حين انحدرت بكل خبث من عيني ومرت على شفتي واستقرت في عنقي.

-١٦٦-

أجهل كيف تغلبت صدمتي به على صدمتي بخطيبي السابق الذي أصبح اليوم لصديقتي، كيف تكون خيبتي به أثقل من خيبتي بالآخر رغم أني لا أعرفه حتى الآن.

-١٦٧-

بعد كارثة طاولة العشاء خاصمني النوم، وفشلت جميع محاولاتي للإصلاح، انسحبت من السرير بهدوء كي لا تستيقظ صديقتي وخرجت للشرفة برداء قصير أبيض.

-١٦٨-

الحياة في الخارج مليئة بالضوء والأصوات، مزدحمة بالمشاعر، تصطدم الصدف بالانتظارات وتنبت السعادة. لن يلتفِت أحد إلى الحزينة المطلّة في الشرفة.

-١٦٩-

بقيت هناك لوقتٍ طويل، أنتظر معجزة تعيدني للوقت الذي كنت فيه صغيرة على الحب والخيبة والأحزان، لا أستحق شيء عدا السعادة، السعادة المطلقة فقط.

-١٧٠-

حين وضعت رأسي على المخدة رأيتُه في ملامح صديقتي البيضاء ورائحة عطرها الذي اخترته له، هي الصديقة التي حرّمها القدر عليه، كان قبيحاً ومزعجاً.

-١٧١-

استدرت عنها كي لا أراه، وجدته في الوردة النائمة على المنضدة، في المرآة الطويلة وعلى حائط غرفتي المعتّق، كيف تجاوز قلبي إلى هذا الحد المخيف ؟

-١٧٢-

أغمضت عيني بقوّة، سمعت صوت بكاء في داخلي، تقلّصت مساحتي في السرير حين رفعت الغطاء على وجهي واقتربت رُكبتيَّ من صدري وانحنى رأسي يقطُف النوم.

-١٧٣-

عدت لرتابة مظهري في الصباح، بنطال أسود وقميص أبيض بياقة طويلة، شعرُ مربوط بعناية، وشفاه لا يفصلها عن الهواء طبقة ملوّنة، خيبتي كانت واضحة.

-١٧٥-

أعدّت صديقتي على الإفطار قرصُ بيض وسجق مقلي، شهيتي كانت معدومة فاكتفيت بكوب قهوة سادة، لم نتحدث كثيراً عن أحداث البارحة، تظاهرنا بالنسيان.

-١٧٦-

عاد كُل شيء إلى وضعه الطبيعي في الخارج، توقّف الاحتفال ومالت عني أزهار الرصيف وأصبحت شمس الصباح أكثر حرارة وقسوة، رُبما هكذا يعاقبني القدر.

-١٧٧-

حماقتي به هي خطيئة كبيرة بالنسبة إلى امرأة مثلي، تدرس كل خطواتها وإن كانت صغيرة، كالخطى التي تميل عن مقر عملي إلى المكتبة أو حديقة الحي.

-١٧٨-

لا أستطيع أن أسمي خطيئتي حُباً، لأن الحُب لا يكون خطيئة أبد، كان يُمكن أن يتوقف كل شيء لو أني دفعت الكرسي للوراء وغادرت أنا وقلبي كاملاً.

-١٧٩-

مظهري القديم جمّد ابتسامات زميلاتي في المحل وأطفأ في قلوبهن شعلة الفضول لمعرفة أحداث نهار البارحة، ابتسامتي الشاحبة وفّرت علي عناء الكلام.

-١٨٠-

استطعت أن أنسى لبعض الوقت مع ازدحام المحل، وضعت انتباهي كله على عملي، كان واضحاً هذا الهروب على وجهي، بدا مرهقا ومتعبا من الجري نحو النسيان.

-١٨١-

لحظة واحدة فقط جعلت هذا النسيان ينكسر وينتثر، حين رأيته يقترب إليّ وعلى شفتيه ابتسامة كرهتها رغم أنها جعلت قلبي يبتسم، آلمتني هذه الابتسامة.

-١٨٢-

حاولت أن أكون أكثر صلابة وأسبقه في الحديث لكنه أوقفني وهو يخرج يده المختبئة وراء ظهره ليمُد لي باقة ورد حمراء كبيرة ويقول لي : هذه من أجلكِ.

-١٨٣-

ابتسامته كانت فاتنة جداً للحدّ الذي كدت فيه أن أنسى ما فعله بي، لكني تجاهلته وأنا أتظاهر بالانشغال في العمل وأقول له : لا أريد أن أراك الآن.

-١٨٤-

سألني : متى إذاً ؟ صمتُ قليلاً وأنا أسترجع الأحداث التي مررتُ بها منذ لحظة لقائي به، رفعت رأسي أخيراً ونطقت بصعوبة : لا أريد أن أراك أبداً.

-١٨٥-

انخفضت باقة الورد ببطء وتلاشت ابتسامته شيئاً فشيئاً حتى مالت إلى اليسار حينها قال : أنتِ ترتكبين خطأ كبير في قولكِ هذا لي يا حلوتي، ستندمين.

-١٨٦-

هزّ صلابتي هذا الكلام، وضع الباقة على مكتبي ورفع عينيه نحوي وأردف بهدوء: لا أريد أن تبكي أو تصابين بالمرض نتيجة هذا القرار الصبياني المتهور.

-١٨٧-

ابتسامته الغامضة هذه اللحظة أخافتني، رأيته يلوّح بيده لليمين وحين التفت رأيت مديرتي تقترب نحوه بابتسامة عريضة، قال لي : فكري حتى مساء اليوم.

-١٨٨-

ثم اندفع نحوها يلقي عليها التحية ويتغزل في شعرها الأحمر الذي تركته مسدولاً لأول مرة، تجاعيدها تمددت من فرط التبسّم أمامه، أخذته معها للخارج.

-١٨٩-

رأيتهما يعبران الرصيف معاً من وراء النصف الزجاجي من حائط المحل، كانا يضحكان معاً بطريقة مقرفة جعلتني أشتعل، لسبب لا أعرفه وأخاف أن أعرفه.

-١٩٠-

شعرت بنظرات زميلاتي تتفحصني وكأن ما حدث قد أجاب عن تساؤلاتهن التي نمَت في رؤوسهن منذ أول ساعة في العمل، أكرة حين تخرج مشاعري فوق جلدي للملأ.

-١٩١-

كرهته مرّة ومرّتين وثلاث، كيف يعبث بي ويخدعني ويأتي في اليوم التالي مبتسماً وفي يده باقة ورد، كيف يستدير عني ويخرج برفقة امرأة أمام عيني.

-١٩٢-

إذا كانت هذه طريقته في الاعتذار فأنا ارفضها، ولو يزرع لي بستان ورد لن أقبل اعتذاره إن لم تخرج من شفتيه كلمه - آسف - ليّنه ومصحوبة بالندم.

-١٩٣-

عدت إلى عملي بقلبٍ مرتبك ورأسٍ مشوّش، لا أستطيع أن أتجاهل وقاحته معي حين أعطاني مهلة للتفكير في الأمر، لا أظنني أحتاج هذا، أريده خارج حياتي.

-١٩٤-

انتهى اليوم أخيراً، خرجت من المحل سريعاً قبل أن تستوقفني إحدى زميلاتي، في طريقي للعمارة رميت باقة الورد بقوة في صندوق القمامة واكملت خطواتي.

-١٩٥-

انفتح باب المصعد وخطوتُ خارجة إلى الممر حيث باب شقتي في المنعطف الأخير، لا أعرف لما هذا التناقض في صدري، خائفة وحزينة وخائبة في وقتٍ واحد.

-١٩٦-

توقّفت خطواتي حين رأيته يقِف مستنداً إلى الباب وخيوط بيضاء تتصاعد من بين إصبعيه وتخرج من شفتيه، نطقت في ارتباك : أخبرتك أني لا أريد رؤيتُك.

-١٩٧-

انتبه إلى وجودي واعتدل في وقفته، رمى سيجارته على الأرض ودعسها وهو يقول لي : وأنا أعطيتكِ مُهلة للتراجع عن هذا القرار، لأن فيه خطورة عليكِ.

-١٩٨-

تجاهلته رغم التوتر الشديد الذي اعتراني من نظرته، اقتربت إلى الباب وأخرجت من حقيبتي المفتاح وحين أمسكت بالمقبض وضع يده على يدي فآلمتني قبضته.

-١٩٩-

قال لي وهو يضغط على يدي بقوّة أكثر : لا تتجاهليني عندما أتحدث معكِ. نظرت إليه ونطقت بصعوبة من شدة الألم : أخرج من حياتي، أنا لا أريدُك فيها.

-٢٠٠-

صَمت مستمتعاً برؤيتي أتألم، شعرتُ أن عظام أصابعي ستتكسّر في قبضته، أغمضت عيني بقوة فتجمّعت الدموع على أهدابي وقلت وأنا أبكي : أتركني أرجوك.

-٢٠١-

ترك يدي وقال: هكذا يجب أن تتحدثي معي. زاد الألم حين تلاشت آثار أصابعه البيضاء في يدي وصار لونها احمر، شهقت باكية وأنا أقول: لما تفعل هذا بي؟

-٢٠٢-

تجاهل سؤالي وهو يمسح دموعي ويقول بنبرة مُريحة : لا أريد أن أرى هذه الدموع مرّة أخرى، استطعت أن أرى في عينه الصدق ولَمس قلبي شعور يشبه الحُب.

-٢٠٣-

أخذ يدي الموجوعة ودفّأها بين يديه، كان ينظر إليها باهتمام كبير جعل هذا الوجع يتخدّر، كيف يغرس في صدري سكين ويعود ليتفقّد الجرح ويطمئن علي؟

-٢٠٤-

رفع عينيه إليَّ وقال مبتسماً : هكذا سيخفُّ الألم. سألته : لماذا تعبث بي ؟ اقترب نحوي وشعرتُ بيديه تمسكان ذراعيَّ وهو يقول : أنتِ لا تفهمين.

-٢٠٥-

قلت: أفهم ماذا؟ قال: شعوري نحوكِ في أول مرة رأيتكِ فيها معه في صورة خطوبتكما. أغمض عينه للحظة وشعرتُ به يتألم، أردف بمرارة : أكره هذا بشدّة.

-٢٠٦-

اقترب نحوي أكثر فلفحتني حرارة أنفاسه وسمعت صوت ارتباك قلبه حين أكمل: أكره ضعفي أمامكِ، أكره وجودكِ الدائم في رأسي، هذا الشيء يجعلني لا أنام.

-٢٠٧-

استنشق الهواء ملء رئتيه وهمَس : رائحة المشمش في شعركِ تقتُلني، أقِف أمامه حائرة وخائفة، كان مختلفاً عن ذاك الذي عرفته في اليومين الماضيين.

-٢٠٨-

الصَق جبينه في جبيني وقال لي بصوت بالكاد يُسمع : كل شيء فيكِ يقتُلني، لم أشعر مطلقاً بهذا الخوف من قبل، أن أستيقظ وأجدكِ مع آخر أو حتى معي.

-٢٠٩-

زفرَ بعمق وأكمل: أنتِ تستحقين شيء أكبر من رجُل، أكبر من الحياة، شيء لن يستطيع توفيره لكِ أحد في هذا العالم، وهذا يؤلمني أكثر من شعوري نحوكِ.

-٢١٠-

- أنتِ تجردينني من نفسي، تجعلينني رجُل لا أعرفه، يشتري ثمر المشمش ليشمُّه فقط، يفضّل الاختلاء بطيفكِ في المنزل على تجمّع الأخريات حولُه.

-٢١١-

- أنتِ تجعلينني أرى في الأشياء التي كنت أمارسها سابقاً حماقةً وغباء، كل هذا الذي تفعلينه يُشعرني بالعجز والهوان، يسرق مني الحياة التي أحبها.

-٢١٢ -

ارتفعت يديه في هذه اللحظة لتحتضن وجهي، شعرت بارتجاف شفتيه قبل أن تلتصقان في جبيني، وسمَ قُبلة طويلة، كان يستنشق رائحة شعري بعمق وأنا ذابلة.

-٢١٣-

كان خائفاً، ضعيفاً، مثل طفل يتيم وجد في امرأة عابرة رائحة أمه، أُصبت بالشلل بين دفء كفيّه، سكينَة غريبة انسكبت على قلبي رغم دهشتي المستيقظة.

-٢١٤-

حين تركني وغادر، أحسستُ وكأني أفيق من حلم، طيفه وهو يبتعد ويتلاشى أمام عيني جعلني أشعر بالخوف والرهبة، شيءً بداخلي أخبرني أني لن أراه أبداً.

-٢١٥-

عادت صديقتي في المساء وهي غارقة في الحب، حدثتني عن يومها الجميل، كنت أفتش في صوتها عنه، عن اسمه ورائحته وظله، شيء يطمئنني أنه لا يزال موجود.

-٢١٦-

كنت أترقّب ظِلّة يُطفئ نور الممر أسفل باب شقتي، أنتظر أن يكسر الصمت صوت طرقُه عليه، أردتُ أن تخرج رائحته العالقة في قميصي وتجسّده أمام عيني.

-٢١٧-

نمتُ تلك الليلة خائبة وخائفة، أخشى على قلبي من بداية يوم جديد دونه، نسيتُ كل شيء قُلته له قبل أن يأخذني بين يديه ويجعلني أذوب بين أصابعه.

-٢١٨-

لم يكن لي شهيه للصباح، حين رفعت صديقتي الستار عن النافذة وتركت أشعه الشمس المزعجة تمتد إلى وجهي وساقي المكشوف، دفنت رأسي الثقيل أسفل المخدة.

-٢١٩-

أخبرتني أنها تركت لي وجبه إفطار على الطاولة، حينها رفعت رأسي لأجدها متوهّجة بقميص مشجّر وبنطال أخضر ضيّق، تُحيط بها هالة من السعادة والحُب.

-٢٢٠-

تنظر إلى نفسها في المرآة بدلال واضح، نثرت خصلات شعلها الملتوية على كتفيها وحلّقت قبلة طائرة من شفتيها إلى انعكاسها، كل هذا لأجل خطيبُها.

-٢٢١-

كانت الأمور بخير لو أنها لم تمسح رذاذ العطر على رسغها وعنقها الطويل، قطره واحده فقط أعادت إليَّ كل أحداث البارحة وأغرقتني في موجه قلق هائجة.

-٢٢٢-

تركتني صديقتي ذلك الصباح وحيدة، ربما هذا ما أحتاجه الآن، أبلغتُ مديرتي بأني لا أستطيع القدوم ففاجأتني بطردي من العمل دون أن تعطيني سبب مقنع!

-٢٢٣-

أغلقت سماعه الهاتف وتكدّست في فمي شتائم لو صرخت بها لماتت الأشياء من حولي، خرجت للمطبخ وأنا أهوّن على نفسي فكرة أني عاطلة عن العمل، وفعلت!

-٢٢٤-

خبز محمّص مطلي بالعسل وسلطه فاكهه وكوب حليب بارد، جلست على الكرسي وتناولت قطعه موز وتبعتها بفراولة وارتشفت من الحليب رشفتين فامتلأت معدتي.

-٢٢٥-

ربما فقدت شهيتي فجأة، قضيت الصباح فوق السرير أقرأ الكتب التي تنام إلى جانبي في المنضدة، حاولت أن أنشغل عن التفكير به فكان يطاردني في كل سطر.

-٢٢٦-

كان هو الصورة التي جسّدها خيالي للبطل في الرواية، كُنت أنا الصبيّة التي وقعت في حُبه دون أن تشعُر فتغيّرت خطتها لحياتُها ومال طريقها نحوه.

-٢٢٧-

رأيته وهو يبكي ويضحك ويبتسم ويزرع في وجنتيَّ قُبلات بطعم الحُب، كنت غارقة مثل مراهقة حقق أحلامها الساذجة روائي كبير السن، فوقعت في غرامُه.

-٢٢٨-

مراهقتي هذه اللحظة مختلفة، لأن وجهتي في الخيال واحدة لا تتجاوز ملامحه السمراء وعرضُ صدرُه، متورّطة في رجل لا أعرف عنه شيء يستحق التدوين.

-٢٢٩-

أعرف فقط أنه متورّط بي أكثر، خائف ومُرتبك من شعوره نحوي والذي لا أعرفه حتى الآن، كيف لرجُل بمثل رزانته وصلابته أن تهزّه امرأة عاديّه مثلي؟

-٢٣٠-

أمي كانت تخبرني كل صباح بأني امرأة استثنائية وتذكرني بهذا في المساء وتكرره علي قبل أن أنام كي أؤمن به، ماتت وماتت معها قناعتي الشديدة بهذا.

-٢٣١-

ماتت معها أشياء أخرى كثيرة، مات معها الحظ والأمل والشغف الكبير لاكتشاف الحياة، أمي كانت نافذتي التي أرى فيها العالم، كانت أنا في صورة طاهرة.

-٢٣٢-

كيف يأخذني التفكير به إلى أمي؟ هل لدفئه المتبقي في يدي دور في هذا، أم هي رائحته الملتصقة في جلدي، منحني في تلك اللحظة أمان يُشبه أمان أمي.

-٢٣٣-

خرجت في النهار للجري في الحديقة، في أذني يرتفع صوت عزف بيانو حزين والصور التي تراها عيني كلها سعيدة، شهدتُ ولادة حب جديد وقبلة أولى واحتضان.

-٢٣٤-

قلبي كان يبحث عنه في كل مكان، يفتّش في ملامح الغرباء وأصواتهم، يبحث تحت القبعات، تمنيت أن ألمحه قبل المساء، عدت فارغة من كل شيء إلا الخيبة.

-٢٣٥-

تركت الماء الدافئ ينسكب على جسدي المرهق، اختلط بالماء فوق أهدابي ملوحة حزينة، كنت أتقلص وأذوب، تُخيفني هذه الهشاشة والضعف الذي وصلت إليه.

-٢٣٦-

عادت صديقتي بعد نصف ساعة من عودتي، مخمورة بالحُب حدّ أنها رمت معطفها على الأريكة في غرفة الجلوس وترنّحت على الأرضية الخشبية ترقُص وتغنّي.

-٢٣٧-

سحبتني من الأريكة لتراقصني وهي تقول : أنا سعيدة، أريد أن أقيم حفل زفافي الآن.
ضحكتُ وقلت لها : أنتِ مجنونه، توقّف العالم ينظر إلينا ويبتسم.

-٢٣٨-

أخبرتني أنهما سيذهبان في رحلة بحريه غدا، سيغيبان لمدة ثلاثة أيام، رأيتها وهي تنتقي الملابس وتسألني قبل أن تضعها في الحقيبة: هل يجعلني سمينه؟

-٢٣٩-

رؤيتها وهي تستعد لقضاء النصف لمتبقي من حياتها مع رجل تحبه ويحبها جعلني أشعر بالحزن على نفسي، ابتسامه تختنق رسمتها على شفتي من أجل صداقتنا.

-٢٤٠-

هذه الصداقة التي جرني إليها القدر رغماً عني، كان يعيدني إليها حين أحاول الاستدارة عنها والابتعاد، صوتها كان منعشاً حين قالت : هل تأتين معنا؟

-٢٤١-

نظرت إليها بعينين واسعتين، اقتربت مني وجلست إلى جانبي في السرير وأكملت حديثها بسعادة : أريدكِ معي، أرجوكِ لا ترفضي هذا، أحتاجكِ معي هناك.

-٢٤٢-

كانت تُمسك بيدي وعينيها تتوسلانِ لأوافق، ابتسمت وأنا أقول بهدوء : صدقيني سيكون وجودي معكِ مزعجاً له، يفترض بكما قضاء هذه الفترة وحدكما فقط.

-٢٤٣-

قالت بصوت جميل : لكنكِ صديقتي وأريدكِ أن تشاركني هذه اللحظات المهمة في حياتي، أريد أن تكوني إلى جانبي في الصور، أرجوكِ حققي لي هذه الأمنية.

-٢٤٤-

مرّت في رأسي لحظات رأيت فيها نفسي معهما على القارب، أجلس في المقعد الأمامي لهما وهُما يتبادلان حديث حُب لا يُفترض أن تسمعه إلا أذنُ واحدة.

-٢٤٥-

أجبتها وأنا أحاول جاهدة أن لا أخدش فرحتها : آسفة عزيزتي، لا أستطيع هذا، ليس وأنا وحدي معكما. حينها قالت بسرعة : لِما لا تدعين حبيبكِ السري ؟

-٢٤٦-

استرسلت في حديثها : ستكون فرصة مثاليه لنتعرّف عليه ويتعرّف علينا، وفرصه لا تعوّض لكما كي تعرفان بعضكما أكثر، ابتسمت لي وأردفت : أرجوكِ.

-٢٤٧-

وجدتُ نفسي حائرة، ماذا عسايَ أن أقول لها، هل أبوح بالحقيقة أم أكذب فيؤلمني صوت ضميري؟ نطقت أخيراً : لم يكن أمراً يستحق الذكر، انتهى كل شيء.

-٢٤٨-

تعاطفها معي هذه اللحظة أشعرني بغصّة، أخذتني في صدرها وأخبرتني أني جميلة وذكية وهو الخاسر في هذا كله، لا تعلمين صديقتي أن خسارته هذه تؤلمني.

-٢٤٩-

قالت لي بعفويّه : لو أن لخطيبي صديق قريب غير ذاك المزعج كنت سأطلب منه أن يأتي، زادت نبضات قلبي وحاولتُ أن أبقى هادئة وأنا أقول : لا بأس به.

-٢٥٠-

فاجأها ردي هذا فقالت لي : هل رأيتي كيف كان لئيماً و وقحاً مع خطيبته ومعكِ؟ أجبتها وأنا أشعر بغيمة غيابه عني تنقشع : ليست مشكله، سأكون معكِ.

-٢٥١-

في تردد واضح رفعت هاتفها واتصلت به، كان قلبي يخفق بسرعة مجنونة، سمعت صوته الثقيل حين نطق : أهلاً، دون أن أشعر قبضتُ على يدها في حماسٍ مفرط.

-٢٥٢-

أنا وقلبي وعيني نترقّب لحظة طلبها منه مرافقتنا في الرحلة، عصفت في صدري مشاعر مختلفة غلبها شعور الخوف من رفضه، الخوف من استمرار هذا الغياب.

-٢٥٣-

دعوة بيضاء من فم أمي تحققت هذه اللحظة، شعرت بحبها يلمسني، شعرت بحب الرب يطوقني في مصادفة طردي من العمل ورحله ستجمعني بالرجل الذي أشتاق له.

-٢٥٤-

تلك الليلة، أقمنا أنا وصديقتي حفلة صغيرة ونحن نلبس بيجامات الأرانب الراقصة بضفيرتين طويلتين على أكتافنا، كما كنا نفعل سابقا في أيام الدراسة.

-٢٥٥-

تناولنا الكثير من المثلجات ورقائق البطاطس والمشروبات الغازية، ساعدتني في تجهيز حقيبتي، نمنا في الشرفة ونحن نلتحف السماء ونضع في كل نجمه حلم.

-٢٥٦-

نامت عين صديقتي في منتصف حديث الأمنيات، وبقيت أنا أسأل النجمة عنه وأرتّب فيها أمنياتي الصغيرة، سألتها : هل هو مستيقظ الآن؟ ومضَت لي وابتسمت.

-٢٥٧-

جاء الصباح مزدحماً بالمهمات، أغلبها لا تتجاوز المرآة، ارتفعت غيمة من البودرة مختلطة بذرات العطور، كنا مثل دميتين بفساتين قصيرة وأحلام كبيرة.

-٢٥٨-

الحياة تبتسم لي من وراء زجاج نافذة سيارة الأجرة، الأشجار وأزهار الرصيف والمباني تودعني وهي سعيدة من أجلي، ابتسمتُ لها بشفتين كرزيّتين.

-٢٥٩-

يسقط كل شيء أمام فرصة اكتشاف الرجل الذي وسم في جبيني قُبلة وغادر، أن أكون قريبة له كفايةً لأعرفه، لأجد إجابات للأسئلة المتكدّسة في رأسي.

-٢٦٠-

وصلنا للميناء بوقت مبكر، استقبلنا خطيب صديقتي بابتسامة جميلة وهو يرتدي ملابس هادئة، قميص أبيض وشورت بخطوط متقاطعة، كنت أبحث عنه بلهفة ملحّه.

-٢٦١-

تصافحنا وتبادلنا حديث صباحي لطيف، ابتلعت سؤالي عنه على مضض وأنا أقف بينهما بقلقٍ كبير، لا أريد أن أخطوا خطوة واحدة قبل أن أراه هُنا جانبي.

-٢٦٢-

أمسكت صديقتي بيدي ومشينا وراء خطيبها نحو المركب المركون في نهاية الممر الخشبي فوق الماء، ألقيت نظرة للخلف أنتظر شيء يقتل الخيبة قبل أن تنمو.

-٢٦٣-

ساعدنا على الركوب، قفزت صديقتي برفقته تتفقّد المركب بينما كُنت أقف وحيدة أترقّب حضوره، ستكون كارثة لو لم يأتي الآن، كارثة قد ترديني قتيلة!

-٢٦٤-

استدرت خائبة وارتفعت يدي إلى صدري وأنا أشعر بصوت الحُزن في قلبي، نظرت إليهما وهُما ذائبان في عناق طويل في مقدمة المركب، تضاعف الحُزن مرّتين.

-٢٦٥-

لماذا يفعل هذا بي؟ لماذا يتعمد جرحي وإيذائي بهذه الطريقة البشعة؟ بماذا أخطأت؟ أنا حتى كسرت لأجله قاعدتي بأن الفساتين المنقطة لا تصلح للصباح.

-٢٦٦-

انتظرناه لربع ساعة امتدت لساعة كاملة، لم يجيب على هاتفه ولا الرسائل المتكدسة، أدركت أنه يعبث بي، أخبرتهم أن يُبحروا، واندفعت إلى بطن المركب.

-٢٦٧-

كنت أبكي وأشهَق مثل طفلة خيّب ظنها والدها، مخذولة مثل عاشقة قطع حبيبها خيط الأمل الذي يربطها به، موجوّعة مثل مَطر صادق غيمة وبصقت به أرضاً.

-٢٦٨-

يؤلمني هذا التعلّق الشديد في رجُل لا أعرف عنه سوى الأشياء السيّئة، يؤلمني أكثر أمل قلبي الكبير بِه، ينتظر منه موقفاً يُثبت لعقلي أنه مُختلف.

-٢٦٩-

لا أستطيع أن أتجاوز رائحته العالقة في شعري وقُبلته الموسومة في جبيني، إنها تأخذني نحوه مجردة من كل شيء عدا مشاعري التي ترى مساحه صدرُه جنّة.

-٢٧٠-

ودع المركب اليابسة واحتضنه ماء البحر بهدوء، تركت قلبي على الرمال هناك حيث كانت أقدامنا مدفونة ذاك المساء، آه يا ذاك المساء ليتك أخذتني معك.

-٢٧١-

هل تعرف ماذا يعني أن يكون قلب امرأة في مكان وجسدها في مكان آخر؟ إنه الموت بحد ذاته يمزّقها، يمتصّ منها الحياة ويتركها يابسة سريعة الانكسار.

-٢٧٢-

حين انطفأت الشمس وارتفع القمر، كانت السماء جميلة جداً، كأنها لوحه زرقاء غامقة مرصعة بالكريستال البرّاق، تمنيت أن أبقى على ظهر المركب طويلاً.

-٢٧٣-

قداسة الجوّ الشاعريّة جعلتني أعتذر منها في الخلود للنوم باكراً، تعللتُ بالإرهاق فسمحت لي صديقتي، لن أُفسد عليها عيش هذه اللحظات الساحرة.

-٢٧٤-

منظرهما معاً تحت القمر مُكتمل الاستدارة جعلني أميل برأسي، كأني أنظر إلى لوحة مرسومه بألوان الحُب، كان يطوّقها بذراعيه، يقول للعالم :هذه لي.

-٢٧٥-

تمنيت أن يتحول السقف إلى سماء، أرتب فيها أمنياتي، أصنع منها ملامح تشبه ملامحه، ليكون حزني جميلا للحظة، يغري فيها بريق النجوم للسقوط على خدي.

-٢٧٦-

دمعتي هذه استسلمت للموت في سبيل الوقوع على جلدُه، نسيت أن أخبرها أنه تركني أبتعد عن الأرض التي يمشي عليها وقلبي مفطور، تركني للموت وحيدة.

-٢٧٧-

أعطيت الحياة ظهري واختبأت تحت الغطاء، ليت ذاكرتي تتعطّل في مساحتي الصغيرة فوق السرير، تستمر في مضايقة العالم وتترُك مساحتي كي أنام بسلام.

-٢٧٨-

يا رب، هل ما يحدث لي بسبب عصياني لأوامر أبي؟ هل سترضى يا الله أن أتخلى عن حُلم نبَت في صدري وأسعى لأجل حُلم أنت لم تكتُبه لأبي؟ هل هذا عادل؟

-٢٧٩-

مات أبي غير راضٍ عني، لأني اخترت دراسة الأدب على القانون، لا زلت أذكر آخر كلمتين قالهما قبل أن يكفُر بدمّه الذي يجري في عروقي: اذهبي للجحيم.

-٢٨٠-

آه يا أبي لو تعلم أن حُبي لك لم يعصي أمرُك هذا، هل سترضى عني الآن؟ ابنتُك التي كفرتَ بها ذهبت بقدميها إلى الجحيم، ولم ترحل حتى هذه اللحظة.

-٢٨١-

رُبما لو أني درستُ القانون لكُنت أقوى، قد أُصبح امرأة شرسة بملابس رسميّه تتناسب مع قوّه شخصيتي، ستناسبني التنانير السوداء والحذاء المنخفض.

-٢٨٢-

وخزتني الذاكرة في قلبي ففاقت عيني من غفوتها الصغيرة، تجاوز عقرب الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، صديقتي نائمة مثل ملاك في السرير المقابل.

-٢٨٣-

وضعت قدميَّ في حذاء الباندا القطنية وأخذت معطفي ثُم خرجت لظهر المركب، كنت سعيدة بهذا الفراغ الكبير، أخيراً سأختلي بحُزني ويكون ثالثنا القمر.

-٢٨٤-

بماذا أبدا يا حضرة القمر؟ بالذي استبدلني بصديقتي في قلبه أم بالآخر الذي وضع في فمي حلوى السعادة واختفى، أم أنك تعرف كيف تقرأ قلوب الحزينات؟

-٢٨٥-

يآه، كم حزينة على البحر تحدثك الآن في العالم؟ كم منهُن ترتدي بجامه القطط وينام على قدميها باندا، كم منهُن تحتضنُها الطفولة إلى هذا الحد؟

-٢٨٦-

رُبما يفترض بي الآن أن أتوقف عن الجري وراء طفولتي الضائعة، بلغت من العُمر ما يكفي لأعرف أن تلك الفترة ذهبت ولن تُعيدها لي الحياة أو الحُب.

-٢٨٧-

- "هل مازلتِ تحتفظين بها؟ " ، الأشياء العالقة في هذا الصوت كان وقعُها على قلبي قوياً، يقف مبتسماً والهواء يعبَث بشعره وقميصه الأبيض الخفيف.

-٢٨٨-

زادت ابتسامته اتساعاً حين أكمَل وعينه ترتفع من حذائي إلى وجهي : كنتِ في نظري دائماً طفله. قلت بابتسامه جافه : وتوقّعت أن يرضيها هذا الكلام.

-٢٨٩-

كان سيقول أشياءً كثيرة لكني أشرتُ له بيدي وأنا أقول بهدوء فاجأُه : لا بأس، لستُ غاضبة منك، سعادة صديقتي فوق كل شيء، لو أحزنتها سأقتُلك بيدي.

-٢٩٠-

ابتسم للحظة ثم زمّ شفتيه وكأنه يحاول ابتلاع ضحكة، قلت: مالمُضحك؟ ، أشار إلى أنفي وقال: هذا الاحمرار هنا، يحدث عندما تغضبين أو تضحكين كثيراً.

-٢٩١-

انخفضت يدي وارتخت عضلات وجهي، قال: الآن ملامحكِ كلها حمراء. هربت من فمي ضحكة خجولة فضحك وهو يقول: أحب هذه اللحظة التي تموتين فيها من الخجل.

-٢٩٢-

كنا نضحك رغم التوتر والارتباك في المساحة الصغيرة التي بيننا، أستطيع رؤيتها في قلبه وعينيه، خائفة من أن يكون تورّطي به واضحاً مثل حُبه لها.

-٢٩٤-

وقف إلى جانبي ويديه على السور الحديدي للمركب، قال لي بصوت ليّن لمَس قلبي : أريد أن أعتذر، لا أدري كيف فعلت هذا بكِ، أنتِ لا تستحقين الإساءة.

-٢٩٥-

- كنتِ طيبة معي جداً، للحد الذي يُشعرني بالخجل من الوقوف إلى جانبكِ هذه اللحظة. نظرت إليه ولم يلتفِت لي، أضاف بصدق شديد : أتمنى أن تسامحيني.

-٢٩٦-

وجدت نفسي أقول بسلام : غلطتك الوحيدة التي ارتكبتها أنت هو ركوعك أمام الفتاة الخطأ. حينها ارتفع حاجباه وقلت بابتسامه : كنت أعرف أن هذا سيحدث.

-٢٩٧-

ضحك: لم أتوقع هذا. قُلت: أعرف، تحدث الأشياء الجميلة من حيث لا نتوقع. نظر إلي طويلا، شعرت به يحاول اكتشاف مايحدث في قلبي، فأشحت بوجهي للبحر.

-٢٩٨-

صوت أمواج البحر الهادئة جعل انزلاق الكلمات من فمي سهلا، قلت: أحيان لا تملك القوة الكافية لتجاوز شخص أحبه قلبك، تضعف لمجرّد تخيل الحياة دونه.

-٢٩٩-

سمعته يقول: أعرف ماتعنينه تماماً، كنت سعيد جداً حين قابلتها، كأنها خرجت من أحلامي. تنهّد بعمق وأردف: رغم هذا كنت خائف ويقتلني الشعور بالذنب.

-٣٠٠-

- ليس سهلا حين تجرح سعادتك شخصُ آخر، شخص يهمّك أمره. وضع يده على يدي فالتقت عيني بعينه، أضاف بنبرة مريحة : أعدك أن أكون أفضل في الصداقة.

-٣٠١-

قلت بابتسامه ساخرة : ليس لديك خيار آخر، ستكون علاقتك بي طويلة، خصوصاً بعد الزفاف. قال بسُخرية مماثله : أكره حين يفرض علي القدر صداقة أحدهم.

-٣٠٢-

وجدت نفسي أقول بثقة: صدقني، أعرف شعورك تماماً. هزّ رأسه نافياً وقال لي: لا تعرفين شيء، كنتِ حاضرة حين خرجت وقاحة صديقي على الملأ، هل تذكرين؟

-٣٠٣-

سرَت في جسدي رعشه، هزتني هزاً عنيفاً، وضعت يدي على صدري أتحسس نبضات قلبي التي بدأت تتسارع، صوت الضجّة في داخلي غلبت على حديثه العفوي.

-٣٠٤-

ابتسامة عابثة ونظرة ماكرة وصوتُ شهي، أشعر بشيءٍ من البياض وسط هذا السوء الكبير، أعرف أن الثغرة التي تخرج منها تساؤلاتي ستغلقها إجابات بيضاء.

-٣٠٥-

دفء كفّه التي هبطَت على كفّي أنقذني من الغرق بِه، التفت نحوه ووجدتُه يبتسم لي بنقاء ويقول : لن أندم أبداً على معرفتي بكِ، ابتسمتُ له بشحوب .

-٣٠٦-

لا أعرف كيف وصل حديثه إلى هذا المُنعطف، فقد كُنت سارحه بالرجُل الشيطلائكي، تنهّدت بعمق وأنا أحاول إزاحة صورته من رأسي وأقول : أعرف هذا .

-٣٠٧-

رمَقني بإعجاب وقال: لطالما أعجبتني صلابة ثقتكِ. ضحكت وقُلت: كنت تقول لي هذا دائماً. حوّلت عيني إلى البحر وأنا أشعر بنظراته تسري في مساماتي .

-٣٠٨-

اقترب نحوي وهَمس: اشتقتُ لكِ. التقت عيني بعينه، شيءً ما في صوتُه أربكني، شعرتُ بيديه ترتفعان لتُمسكان بيديَ وتحتفظان بهما، بحميميّه شديدة .

-٣٠٩-

قال: أشعر بالسوء لأني جرحتكِ، تعلمين أنكِ عزيزةً على قلبي كثيراً، أنتِ الوحيدة التي وقفتِ معي في أكثر المحن صعوبةً، أنا لا أريد خسارتكِ .

-٣١٠-

زادت قبضته على يدي دفءً حين أحنى عينيه عن وجهي وقال: أبداً ، كان صغيراً وضعيفاً، للحدّ الذي جعلني اسحب يدي وأقِف على أطراف أصابعي لأحضنه .

-٣١١-

أخربته في أذنه: لن يحدث هذا، احاطني بذراعيه وقال في أذني: شكراً. تبددَ الدفء بيننا حين ابتعدنا عن بعضنا وصارت المساحة بيننا فارغة وباردة .

-٣١٢-

كان الارتباك واضحاً حتى في ذرّات الهواء المُحيطة بنا، قُلت وأنا أبتعد متجهةً إلى بطن المركب: يجب أن نخلد للنوم الآن. لكنه أوقفني فجأة !

-٣١٣-

- لا أريدها أن تعرف. قال هذا بتردد كبير، طمّأنته أنها لن تعرف، شكرني وافترقنا وأعتقد أنها المرة الأخيرة التي نكون فيها قريبين إلى هذا الحد .

-٣١٤-

لستُ حزينة على هذا، لكنِ لم أتمنى أن تكون النهاية بهذه الطريقة المثيرة للقلق، لقاء سرّي غير مدبّر وحُضن لن تصدّق براءته صديقتي لو علمَت به .

-٣١٥-

كُنت أرى وجهها الأبيض وهي نائمة في السرير المُقابل، خائفة من أن يأتي يوم يفقد هذا الوجه البريق والتوهّج، أحبها يا الله وأريدها دائماً سعيدة.

-٣١٦-

مثل حرصها الدائم على ابقائي سعيدة ومستريحة البال، هذه إحدى أهم أولويّاتي في الحياة، مهما بلغ هذا الهدف من صعوبة سأكون قادرة على تحقيقه لها .

-٣١٧-

أعرف الأشياء التي تسعدها ولستُ متأكدة من معرفتها للأشياء التي تسعدني أنا، رُبما أنا لا أعرف أيضاً، ورُبما كُنت أعرف قبل تعثّري برجُل الصباح .

-٣١٨-

كان حاضراً في رأسي، ينام ويستيقظ في صدري، أشعر به في جلدي، كان معي طيلة الوقت بطريقة مؤلمه، تُضعفني وتسلب مني قوّتي، وأنا في أشد حاجتي لها .

-٣١٩-

نمتُ على قلبي تِلك الليلة، أردت أن أغلق الثقب الصغير، أن يتوقّف الصفير المؤلم في كل مرّة تتضح فيها صورته في ذاكرتي ويرتفع فيها صوته الجميل .

-٣٢٠-

جميل ! ، اوه، هذه الكلمة لا تكفي والله، إنها لا تستطيع حتى التمدد لتحوي صوته كله، او حتى شفتيه، ثغرة الذي ما غاب عن رأسي مُنذ أن نطق إسمي .

-٣٢١-

مُنذ أول لقاء، ذاك اللقاء الذي لن تستطيع الأيام والسنين أن تمحيه من ذاكرتي، أو حتى أن تعبَث به، ولو قُدّر لي لعشتُه ألف مرّة وكررتُه أضعاف .

-٣٢٢-

- يجب أن تري هذا الآن، بسرعة . صديقتي وهي تسحبني من السرير وتقفز بفستان أزرق قصير يكشف عن ساقين جميلان، لم تترُك لي فُرصة لأستوعب اللحظة !

-٣٢٣-

كان الشمس مُشرقة شروقاً كاملاً في الخارج، رأيت خطيبها يقِف قُرب طاوله تعلوها أطباق مرتّبه، وهُناك في الخلف يقِف رجلاً آخر بسنارة صيد طويلة .

-٣٢٤-

عرفته حين التفت نحونا وابتسم، كان هو، الرجُل الغارق في رأسي، لم أصدق هذا للحظة حتى أخذتني صديقتي إلى صُندوق قريب منه، تحتضر فيه الأسماك .

-٣٢٥-

نظرتُ إليه وهو واقف باستقامة، يرتدي قميص خفيف وشورت واسع، شعرُه فوضوي ويلبس نظارة شمسيّه عريضة، سُمرته كانت متوهّجة، أصابتني بتوتُر شديد.

-٣٢٦-

هتفت دون أن أشعر : أنت هُنا ! ، نظر إليَ وقال مبتسماً : نعم، وكذلكِ أنتِ وقططكِ، قالها وهو يُشير إلى بجامتي، اندفع الدم إلى وجهي وضحكت .

-٣٢٧-

لم تدعني صديقتي معه طويلا، أخذتني إلى طاوله، قالت أن الوسيمان أعدّا لنا الإفطار، زيتون ومربّى الأناناس وشرائح بيض مسلوقة ومكعبات الجُبن .

-٣٢٨-

والكثير من الحُب، ابتسمت لخطيب صديقتي الذي بدا متحمّساً وهو يتحدث عن مفاجأة صديقه له هذا الصباح، قال إنه جاء مع صديق له على قارب صيد صغير .

-٣٢٩-

انضم إلى المحادثة صديقه وهو يعاتبه مازحاً على قلة صبره، وكيف أنه أناني في رغبته بالتفرّد بالجميلتان، كان الجو جميل وحميمي وكنت سعيدة جداً .

-٣٣٠-

حتى وأنا حائرة أمام حقيبتي المفتوحة في السرير، كنت أشعر برغبة عارمه بالرقص، سحبت منها فستان طويل أصفر، لا شيء سيقول أني جميلة أكثر من هذا .

-٣٣١-

تأكدتُ من هذا حين تركتُه ينسدل على جسدي بانسيابيه وسهولة، جمعتُ شعري على كتفٍ واحد وأنا أسمع ضحكاتهم وأشُم رائحة شواء السمك الشهيّة .

-٣٣٢-

خرجت لظهر المركب، استقبلني خطيب صديقتي بإعجاب كبير، سحب لي الكرسي وقبّل يدي وهو يساعدني على الجلوس، كانا هُناك عند موقد الشواء يضحكان معاً .

-٣٣٣-

نظرت إليهما ورأيته ينظر إليَ طويلاً، ربما كان ينظر إليَ منذ أن خرجت من الباب وصعدتُ السلالم، منذ أن قال لي صديق خطيبتي أني جميلة وقبّل يدي .

-٣٣٤-

رُبما هو يحترق الآن غيرة، رأيته يقترب نحو صديقتي ويُمرر يدُه على ظهرها وينحني إلى أُذنها، ضحكتها الحمراء أخبرتني أنه يعبث معي، كُنت محقة !

-٣٣٥-

حتى وقت تناول الافطار، لم يُزيح عينه عني، كان ينظُر لي بعُق شديد، يصل إلى روحي وقلبي، حاولت مقاومة الرضوخ لعينيه ولم أستطِع، الأمر صعب !

-٣٣٦-

أصعب مما كنت أتخيّل، أنا حتى نسيت خطاياه، وأراه الآن ملاكاً أبيض، لؤلؤياً متوهّج، أشعر أنه الحياة، أو رُبما شيءً أكبر حجماً وضرورةً !

-٣٣٧-

أمرُ مخيف، هذا الاندفاع السريع نحوه، وكأني أسقط في هاوية خطرة، ليس لي قُدرة على التوقّف أو التمهّل. ومع كل دقيقة أندفع أكثر، كأنها النهاية !

-٣٣٨-

انسحبا عصفوريّ الحُب بعيداً في مؤخرة المركب، كُنا قد انتهينا من الافطار للتوّ، وبقيت وحدي معه، صراع قوي يثور في داخلي، هل أبقى أم أهرُب ؟

-٣٣٩-

وحدث حينها أن لَمس جلدي جلدُه الأسمر، كُنت سآخُذ الاطباق وأهرب بها لكنه أمسكني، انتفضَت كل خليةً في جسدي لهذا الاقتراب، قُلت : توقّف ..

-٣٤٠-

همَس : لو أني أستطيع !، قلت : أنت فعلتها من قبل، همَس : كانت محاوله فاشلة. قلت : لكنك فعلتها، حينها قال : وأنظري إليّ الآن، ضعيفُ أمامكِ .

-٣٤١-

- خاضعُ لكِ، خاوٍ من كُل شيء إلا رغبتي بكِ، هذه الرغبة التي ستقتُلني وتجرّدني من الحياة، وجودكِ احتضار وغيابكِ موت، والبقاء معكِ مرض !

-٣٤٢-

أخافني، وآلمني، قبضته على يدي ازدادت قوّه، حتى إني واجهتُ صعوبة بالتنفس، نطقت بصعوبة : توقف أرجوك، هذا مؤلم. قال : جميل، هل تشعرين بي الآن ؟

-٣٤٣-

قُلت له وأنا على وشك البكاء : ساعدني لأشعر بِك، توقّف عن إيذائي. دفعني إليه وقال وفي عينه أمواج مشاعر تتلاطم : لا أستطيع ذلك، أنتِ تمنعيني .

-٣٤٤-

أفلَت يدي وقال بجديه: عليكِ أن تحذري من العبث معي، أنتِ تضعين نفسكِ في مواقف خطيرة، قد تكلفكِ حياتكِ. قال هذا وتركني، غُصن تلعب بِه الرياح !

-٣٤٥-

أنا لا أفهمه أو رُبما لا أفهمني، ما عُدت أفهم شيءً مُنذ أن عرفته. دخوله إلى حياتي كارثة، أصبحت الأرض متعرّجة والوقت يتمدد ويتقلص كما يشتهي !

-٣٤٦-

كُنت مشدوهة طيلة اليوم، جسدياً كُنت معهم وبينهم، لكن فِكري هُناك في تِلك اللحظة. في كُل مرّة تلتقي عينه بعيني أرتعش، قلبي يؤلمني بشدة .

-٣٤٧-

ليس لأني مرض أو احتضار أو موت، بل لأن هذا الشي الغريب الذي بيني وبينه قد يذهب، وأخاف على نفسي بعدها، غيابه القصير أخذني في رحلة عذاب طويلة !

-٣٤٨-

إنه لا يستطيع أن لا يؤذيني ولا أستطيع أنا أن لا أقع بِه، وهذا التضاد والتنافر يعمل بطريقة معاكسة، كل مساحه فارغه بيننا تسكنها شحنات تجاذب !

-٣٤٩-

كان يقِف مستنداً على السور الحديدي، يقبّل سجارته الثالثة لهذا المساء. انضمّت إليه صديقتي ودار بينهما حديث تمنّيت لو أني قريبة كفاية لأسمعه .

-٣٥٠-

- أعرف، إنه رجُل غريب. أجفلني صوت خطيب صديقتي، حين التفتُ نحوه كان يبتسم بحاجبين مرفوعان وكأنه أمسكني متلبسة بجريمةً ما، رُبما شيءً أكبر !

-٣٥١-

قدّم لي كوب عصير، وانضم إليَ في المقعد. قال لي وهو ينظُر إليه : أعتقد أن كل الأشياء التي حدثت تبرر لكِ لماذا أخفيتُه عنكِ في فترة خطوبتنا .

-٣٥٢-

نظرت إليه حين قال: ستقولين عني فاشل في اختيار أصدقائي، حول عينيه نحوي وأردف: وأنا لا أريد أن أكون فاشلاً أمامكِ في شيء غير اختيار جواربي .

-٣٥٣-

ضحكنا معاً، فجاء صوتُه مثل شرخٍ في قلبي : اقتربا، ينقُصنا بعض المرح هُنا. نظرتُه أربكَتني وابتسامته الرماديّة جعلت ضحكتي تتلاشى وتختفي .

-٣٥٤-

اقترحت صديقتي بعض الموسيقى، حاولت أن أمنعها لأني أعرف أني سأضطر لأن أرقص وهذا الوقت ليس مناسباً، تجاهلتني وهي تقول : سيكون تدريباً لزفافي .

-٣٥٥-

لم أستطِع أن أرفض، رُغم خوفي الشديد مما يُمكن أن يحدث. لا أريد أن تجمعني بِه رقصه أكون فيها قريبةً منه أكثر من أي وقتٍ مضى، لا أريد هذا !

-٣٥٦-

أشعر أن الكون كله يرفُض هذا الاقتراب الشديد بيني وبينه، ليس فقط جسدي الذي يؤلمني. هذا الاقتراب قد يحدُث بسببه كارثه كونيّه، تقتُلنا معاً !

-٣٥٧-

أنا مرضُه وموته واحتضارُه وهو عذابي واسئلتي وإجاباتي، أعرف هذا تماماً، ومؤمنه بهذا مثل إيماني بالبياض الكامن في صدرُه وفي كل خليةً من جسده .

-٣٥٨-

لم أقدِر على رفض فُرصه تقبيل أصابعي لأصابعُه، حين مدّها لي وتلاشت فكرة الهروب في رأسي، سحبني إلى مكان بعيد، لم تستطع الموسيقى الوصول إليه .

-٣٥٩-

قُلت : هنا لا يوجد موسيقى، كيف سنرقص؟ نظر إلي طويلاً، كانت يده الأخرى تعبُر طريقها في ظهري حتى استقرّت في المُنتصف، سألني : هل تسمعين هذا ؟

-٣٦٠-

- صوت أمواج البحر، حفيف شعرُك حين يغازله الهواء، نبضات قلبكِ التي بدأت تضطرب. بدأ يراقصني بهدوء ثُم أردف هامساً : وطيّات فستانكِ الآن .

-٣٦١-

سألته وأنا غارقه في عينيه: وماذا بعد؟ دفعني لأدور أسفل يدُه ثم سحبني وضمني من وراء ظهري، أجابني بصوت غارق أكثر: صوت قُبلة، وطبعها على كتفي .

-٣٦٢-

وتبعتها قُبلة وقُبلة وقُبلة، مثل أغنيات مُغرية للاستسلام والاقتراب للموت، أزهرَ على كتفي غُصن أزهار الكرز ونضجَت في شفتي قُبلة وحان قطافها .

-٣٦٣-

كنا نرقص على الأصوات التي نشتهيها، وكانت مقطوعة موسيقية جميلة حد أنها عزلتنا عن الواقع الذي يرفضنا، كنا مثل متمردين هربا من رواية حب عتيقة .

-٣٦٤-

قال لي وهو يُزيح شعري للوراء: على هذا العُنق ترتبك الحياة. سألته: لماذا ؟ أجابني: لأنه المكان الأقرب لشفتيكِ، والطريق إليهما شديد الخطورة .

-٣٦٥-

سألته : هل تخاف المُخاطرة ؟ هزّ رأسه نافياً وقال : أخاف عليكِ. هربَت من فمي حيرة صغيرة : أنا لا أفهمك. ابتسم وقال : لا يُفترض بكِ أن تفعلي .

-٣٦٦-

تزاحمت الأسئلة في فمي، حاولت أن أبتلعها أو أن أرتبها لكنها كانت تتدافع، فقدت سيطرتي عليها فقُلت : أريد أن افهمك، أريدك أن توضّح لي كل شيء .

-٣٦٧-

توقفت رقصتنا وتبخّرت الموسيقى وغاب الخيال فجأة. قلت بصعوبة : ذلك اللقاء المتأخر، حقيقة أنك صديق خطيبي، قاطعني بحدّه: كان خطيبكِ، تذكري هذا .

-٣٦٨-

كان غاضباً، ينظُر لي وكأنّي فعلت خطيئة لا تُغفر وذنبُ سيخلّدني في جهنم، جهنم الخاصّة به وحدُه والتي خدعني ليأخُذني لها وأنا راضية وسعيدة .

-٣٦٩-

كانت الاستفهامات تتصارع في رأسي وأنا أقول: كيف دبّرت صُدفه لصديقتي مع خطيبي السابق وأنت تعرف أنه مُرتبط وسيتزوج قريباً؟ لماذا فعلت هذا كله؟

-٣٧٠-

- وخطيبتك ، كيف تجرّأت على خيانتها معي؟ قاطعني ببرود: انتِ مُخطئة، خُنتكِ معها، قابلتها تلك الليلة وبالصدفة كان معي خاتمكِ فانتهزت الفُرصة .

-٣٧١-

تراجعت للوراء وأنا اشعر بقلبي يتمزّق، أردف ببرود: في الحقيقة كانت صديقة قديمة، لا ليس صحيح، كانت إحدى الجميلات في قائمتي للنساء المتوفرات .

-٣٧٢-

تحجّرت عينيَ بالدموع وخنقتني غصّه صعّبت علي التنفّس، كُنت أذوي أمامه وهو يتحدث بهدوء وكأن ما يحدُث لي أمراً عادياً، أمراً ليس جديداً عليه .

-٣٧٣-

قال لي أنه فعل كل شيء من أجلي، لأني كُنت أرتكب خطأ كبير بارتباطي برجُل عادي مُتكرر، وخطأ أكبر بعيشي حياة طبيعيّة لا تناسب امرأةً مثلي .

-٣٧٤-

كنت قد بدأت أبكي حين قال : أنتِ امرأة عظيمة، تستحقين أشياء عظيمة. شهقت وارتعشت شفتيّ فرفع عينيه ، هتَف بقلق أربكني: لا تؤذي عينيكِ بالبكاء .

-٣٧٥-

اقترب نحوي واقترب معه الدفء والأمان، مسح على خدي وهو يقول باهتمام بالغ: سأقتل كل شخص يستبيح حُرمة دموعكِ. قلت بصوت مبحوح: لما لا تبدأ بنفسك؟

-٣٧٦-

تجاوزتُه كارهه لهذا وابتعدت، في طريقي للباب اصطدمتُ بخطيب صديقتي الذي فاجأه منظري وأنا أبكي، هربت مسرعة كي لا يضغط على وجعي بسؤاله: ما بكِ ؟

-٣٧٧-

اغلقت الباب، تمنّيت أن لا تستطيع مشاعري التي تساقطت منّي اللحاق بي، سقطت على الأرض وأنا أشعر بأني أثقل من الأرض حزناً وأعمق من البحر جرحاً .

-٣٧٨-

حين سمعت صوت صديقتي يقترب، هربت مسرعة إلى الحمام وحاولت التخلّص من الحزن العالق في وجهي، طرقَت الباب وسألتني بقلق كبير: هل أنتِ بخير حبيبتي؟

-٣٧٩-

غسلت وجهي وتمنّيت لو أستطيع أن أغسل صوتي وأخبرتها أني بخير، قالت لي وأنا أشعر بها قريبةً إلى صدري: أخبرني خطيبي أنه رآكِ تبكين، هل حدث شيء ؟

-٣٨٠-

نعم حدث يا صديقتي، حدث شيء كبير قد يقتلكِ لو عرفتيه، حياتي كلها اندثرت بسبب إيمان رجل غريب بأني امرأة الجنّة المفقودة الموجودة في رأسه فقط !

-٣٨١-

حياتكِ الآن هي الحياة التي كُنت أخطط لها، المفروض أنها لي لو أنه لم يعبَث في مسير احلامي كما تشتهي نفسُه، سعادتكِ هي سعادتي المسروقة .

-٣٨٢-

وتُريدين أن أخبركِ الحقيقة ؟ لن أفعل وإن كان في هذا موتي يا صديقتي. فتحت لها الباب بابتسامه باردة وقُلت لها : أريد أن أعود إلى البيت فحسب .

-٣٨٣-

هزّت رأسها في تعاطف شديد، ضمّتني إلى صدرها وقالت لي : سنعود الآن، لا تبكِ حبيبتي. انسابت على خدي دمعه وانقبض قلبي يعاتبني على الكذِب .

-٣٨٤-

تركتني على السرير وخرجت لتُعيدني إلى بيتي، إلى سريري الذي يفتقدني واوراقي التي تمتص ماء عيني، إلى كوبي الذي يشرب صوتي والحكايا في خزانتي .

-٣٨٥-

إلى كل الأشياء البعيدة عن هذا الرجُل، عن هذا الحزن الكبير العالق بالجوّ، وضعت رأسي على الوسادة ودسستُ يدي تحتها ابحث عن دفء يُشبه دفئُه .

-٣٨٦-

حتى وأنا أحاول الهرب عنه أجدني أهرُب إليه، ولا أجد راحتي منه إلا معه، مع صوت ذكرياتي معه وطعم صوتُه في فمي، ويؤلمني هذا ألماً شديداً .

-٣٨٧-

وفَت صديقتي بوعدها لي وأعادتني إلى البيت، حتى إنها تكفّلت بالأسئلة التي نبَتت فوق هذه العودة المفاجأة، اختصرتها بأنها في حاجه ماسّه للتسوق !

-٣٨٨-

أنا أعرف وهو يعرف وخطيبها يعرف أن هذا ليس السبب الحقيقي، كانت تحاول أن تليّن ملامحنا في سيارة الأجرة العائدة من الميناء إلى وسط المدينة .

-٣٨٩-

في المقعد الأمامي يجلس هو إلى جانب السائق، وخلفُه كانت صديقتي وإلى جانبها خطيبُها ثُم أنا، هذه المرة المساحة بيني وبينه يسكنها فراغ فقط !

-٣٩٠-

كُنت انظر عبر نافذة السيارة للحياة في الخارج، لستُ مستعدةً أبداً لها، وفي الحقيقة كُل ما كنت أنتظره هو لحظه خروجي من السيارة إلى البيت .

-٣٩١-

حين وصلنا إلى عمارتي، رأيتُه يسبق الجميع إلى بابي، مد يدُه ليساعدني على الخروج فتجاهلته وأنا أخرج بنفسي وأسحب حقيبتي معي، أغلق الباب بهدوء .

-٣٩٢-

سبقني إلى حقائبي وحملها وفي عينيه نظره جديه، دفع خطيب صديقتي الأجرة للسائق وحمل الحقائب المتبقية، كنت خائفة من أن تتلامس أصواتنا ولا تتوقف .

-٣٩٣-

عند باب شقتي قُلت له بعد أن دلفَت صديقتي مع خطيبها للداخل : شكراً لك يُمكنني أن آخذ حقائبي الآن. تجاوزني للداخل قائلاً : "شكراً" لا تكفيني .

-٣٩٤-

استدرتُ نحوه ورأيته يضع حقائبي على الأرض قُرب الأريكة الطويلة ويذهب للمطبخ، تبعتُه وأنا أقول غاضبه : أريدك أن ترحل الآن. قال : ليس الآن .

-٣٩٥-

أخذ كوب من الخزانة وباشر إعداد القهوة بكل برود وأنا انظر إليه، كان يبحث عن شيء ما فنظر لي وقال : هل تحتفظين بالسكر في آخر مكان غير شفتيكِ ؟

-٣٩٦-

اندفع الدم بقوّه إلى وجهي واضطرب قلبي للحلاوة المتدفّقة في صوته، اقتربت نحوه وقُلت له وأنا أنظر لعينيه : أرجوك، فقط ارحل ولا تعُد ابداً .

-٣٩٧-

مال نحوي وقال بصوت ساحر : دعيني أولاً انفّذ طلبكِ الأول وبعدها أعدكِ أن أرحل للأبد. عقدتُ حاجبي في تساؤل، ابتسم بليونه وقال : تبدين جميلة .

-٣٩٨-

لا أدري ماذا حدث لي في هذه الثواني المعدودة من الحديث معه، كل الجفاف في صدري ارتوى وصار قلبي مُبلل حتى التأمت كل الشروخ، صار ورديا ً وحياً .

-٣٩٩-

سألني : والآن هل ستخبرينني أين تحتفظين بالسُكر أم اضطر إلى أخذُه عنوة في المكان الذي أعرفه ؟ تجاوزتُه وكأني ابتعد عن حُلم وأشرت إلى مكانه .

-٤٠٠-

خرجتُ من المطبخ وأنا أفكر بالذي يعنيه في طلبي الأول، لا أذكر أني طلبت منه شيءً، صادفني خطيب صديقتي في الممر وسحبني بلُطف إلى حديث قصير .

-٤٠١-

حاول أن يعرف السبب وراء بكائي البارحة في المركب، أخبرته أني كنت متعبه قليلاً، اقترب ثم سألني بصوت منخفض : هل كان هو السبب ؟ أخبريني أرجوكِ .

-٤٠٢-

قُلت وأنا حائرة من هذا القلق الكبير في صوته وتصرفُه : لا تقلق، أنا بخير الآن. كنت سأذهب لكنه أوقفني قائلاً : لقد تحدث إليه تِلك الليلة .

-٤٠٣-

سألته : ماذا قال لك ؟ صدَح صوت صديقتي وهي تقول : عن مَن تتحدثان ؟ ارتبَك الجوّ وهي تنظر إلينا بابتسامه واسعه، جاء صوته واثقاً : عني .

-٤٠٤-

كان يقف قرب باب المطبخ وفي يدُه كوب القهوة، اقتربت إلينا صديقتي وهي تقول: وما المُناسبة؟ أجابها بهدوء : الفلم الذي اقترحته لم يُعجب خطيبكِ .

-٤٠٥-

هتفَت بفرح : سنشاهد فلماً معاً ؟ قال خطيبها وهو ينظُر إليه بغموض : يبدوا أننا سنفعل. لاحظت شيءً غريباً بينهما، بعيداً عن اللُطف والصداقة .

-٤٠٦-

حتى وقت مشاهدة الفلم كان الوضع غريباً، هناك شيء فاسداً يمنوا بينهما لا أعرفه وعندي حدس قوي يقول أنه بسبب الحديث الذي دار بينهما على المركب.

-٤٠٧-

غادرا شقتي في العاشرة، ساعدتني صديقتي في ترتيب المكان، كان فوضوياً بسبب أكواب المشروب الغازي وعلَب البيتزا العالقة فيها خيوط الجُبن والبصل .

-٤٠٨-

كنت مُرهقه جداً، الأفكار في رأسي تتشاجر وجسدي يشتهي نومُ طويل، أخذت حماماً دافئ على عَجل واندفعت تحت الغطاء، حتى إني لم أجفف شعري .

-٤٠٩-

أكثر ما أخشاه هو أن أكون السبب وراء هذا التنافر المفاجئ بينهُما، لا أرجوكِ يا أنا ليس الآن، الوقت غير مناسب لزرع الاستفهامات، أريد أن أنام .

-٤١٠-

كل الاستفهامات التي زرعتها في رأسي أثمرت في الصباح استفهامات أكبر، حتى إن رأسي لم يكُن واسعاً كفايةُ ليحتويها فمالت إلى صدري وتفشّت في جسدي .

-٤١١-

تضاعفت حين خرجت مع صديقتي لتناول الإفطار في مخبز الفطائر القريب، حاولت أن أكون حاضرة معها جسديا وذهنيا، لأنها كانت تتحدث عن زفافها القريب .

-٤١٢-

أخبرتني أن والدتها ستأتي اليوم من أجل اختيار فستان زفافها، سعدتُ لهذا لأني أعرف أن علاقتهما كانت سيئة وهذه فُرصه لعوده المياه إلى مجاريها .

-٤١٣-

وسعدت أيضا لأني سأنشغل ذهنيا ولو لفترة قصيره في مسألة اختيار الفستان، بعد الافطار خرجنا لمقابلة والدتها، كانت تنتظرنا عند محطه قطار الأنفاق.

-٤١٤-

ذهبنا ثلاثتنا إلى السوق، كان الجو ورديًا ومليء بالحُب، كنا ندخل المحلات لنُلقي نظرة وننتقي بعض الأفكار فنخرُج بأكياس عديدة دون أي فكرة .

-٤١٥-

رأيت صديقتي بفستانها الأبيض، كانت المرة الأولى التي أراها جميلة إلى هذا الحد الكبير، إطلالتها هذه غلبت على كل اطلالتها السابقة، كانت ملاكا .

-٤١٦-

تخللت الدموع هذا الموقف، والدتها كانت سعيدة لأجلها، لطالما انتظرت هذه اللحظة منذ أن بدأت ابنتها بتلطيخ وجهها بالمساحيق والتظاهر بأنها امرأة.

-٤١٧-

عُدنا لوسط المدينة بأكياس كثيرة لم تحتوي فُستاناً أبيض، صديقتي كانت حائرة بين أربعه فساتين ستختار الأفضل نهاية هذا الأسبوع، كانت ورديّه .

-٤١٨-

استقبلنا خطيبها في المحطة وفي يدُه باقة ورد بيضاء لحماتُه المستقبلية، دار بينهما حوار عائلي لطيف فانسحبت بهدوء إلى مكينه المشروبات الباردة .

-٤١٩-

سحبتُ منها شراب الليمون وجلستُ على مقاعد الانتظار انظُر إليهُم من بعيد، أستطيع أن أتخيلُهما في نفس الصورة بعد عشر سنوات من الحُب المستمر .

-٤٢٠-

تشوّشت الصورة في الخلف حين رأيته يقف أمامي، ألقى التحيّة بهدوء ودعى نفسُه للانضمام إليَ في المقعد، سألني : كيف كان نهاركِ ؟ أجبته : لطيف .

-٤٢١-

اسند ذراعيّه على فخذيّه وقال وهو ينظُر لي: حصلت على عمل اليوم. ابتسم وأكمل : ولدي مفاجأة لكِ، سآخذكِ إليها الآن. تسللت أصابعه بين أصابعي .

-٤٢٢-

حين ودعت صديقتي ووالدتها، تبادلا خطيبها وهوَ نظرة غامضة تشبه تِلك التي حدثت في شقتي، ابتعدنا عنهم فألقيت نظرة للوراء وكان لا يزال يتتبعُنا .

-٤٢٣-

تجاهلني حين سألتُه عنها بدهاء قائلاً : تخلّصي من أي مخلوق حي في رأسكِ الآن. أخذني في سيارته الفارهة إلى شارع أعرفه، ومكان أعرفه تماماً !

-٤٢٤-

فرغت فاهي واتسعت عينيَ في دهشه، أخبرني أنه اشترى المحل الذي كُنت أعمل فيه هذا الصباح وكُل هذه الورد المرتّبة عند البوابة من أجلي، لم أصدق !

-٤٢٥-

هتفت وأنا في ذروة دهشتي : أنت مجنون. ضحك ضحكه فاتنة وأخذني للمحل، سمح لي بالدخول أولاً، استقبلتني زميلاتي استقبال كبير، أخذني للسماء بعيداً .

-٤٢٦-

لم أصدق انه فعل هذا، حين دخلت إلى مكتبي والذي كان مكتب مديرتي السابقة، استدرتُ نحوه وسألته : ماذا حدث لمُديرتي ؟ قال : أنتِ مديرتها الآن .

-٤٢٧-

عقدت حاجبيَ فقال: قبل أن تقدم استقالتها هذا الصباح. حاولت أن أستوعب شيءً مما يحدث وأنا أقول: كيف هذا؟ أمسك بيدي وقال: توقفي عن طرح الأسئلة .

-٤٢٨-

- واستمتعي في هذا النعيم. كان يقول هذا وهو ينظر إلى عيني بحُب كبير، حتى قبضتُه على يدي هذه المرة كانت رقيقة، سألته حائره : ماذا حدث لك ؟

-٤٢٩-

تلاشت ابتسامته ببطء حتى اختفت، أجابني بهدوء: لا شيء. صدقتُه رُغم أنها الإجابة التي لم أكن أنتظرها، ارتفعت بضع سنتيمترات وفاجأتُه بحضن كبير .

-٤٣٠-

مضت خمس ثوانٍ ويديه مرتخيتان في دهشه، همست في أذنه : شكراً. شعرت به يضمني إليه بشدّه، وكأنه يحاول أن يحشرني في صدرُه، كي لا يقلق علي أبداً .

-٤٣١-

همس في أذني : شكراً عليكِ. لا أذكر أني كنت مطمئنة إلى هذا الحد من قبل، دافئة حدّ الانصهار، هانئة لا ينقُصني شيء عدا قُبلة تجعله لي للأبد .

-٤٣٢-

هذا الحضن غسل ما في قلبي من أحزان، نسفَ كل استفهام في جسدي، خلقَني من جديد إنسانه تعلّمت الحياة للتوّ، وكانت أول خطواتها أن وقعت في غرامُه .

-٤٣٣-

وقعَت وسكنَت واستقرّت واطمأنّت واكتفَت في حبه، انسانه متصالحة مع الحياة مع الموت مع الأيام والساعات والدقائق، طالما هو هنا، قريب إلى صدرها .

-٤٣٤-

كان أول مكان أخذني إليه بعد خروجنا من المحل هو قبر والدُه ووالدتُه، قال لهما وهو ممسكاً بيدي أنه وجد الفتاة التي روّضت له قلبه وعقله وعينه .

-٤٣٥-

مال إلى قبر والدتُه وهمَس لها : يُمكنكِ أن تكوني فخورةً بي الآن، ثُم مال إلى قبر والدُه وقال : آسف يا أبي، يبدو أني خسرتُ فخرُك بي الآن .

-٤٣٦-

أخبرني أن والده كان لعوباً، صبرت والدتُه لأجل الحُب، كانت تصلي من أجله وهو صغير أن يكون رجل صالح حين يكبر، ولا يرث شيء من والده عدا وسامته .

-٤٣٧-

ابتسمت وأنا اتأبّط ذراعه وأقول : تحققت صلاتها الأخيرة. توقّفت خطواتُه فجأة، نظر طويلاً إلى عيني وقال : ليست الأخيرة فقط، كل صلواتها تحققت .

-٤٣٨-

وسم على جبيني قُبلة، وأردف بكل الحب: وأنتِ كل صلواتها. وضعت يدي على يديه التي كانتا تحتضنان وجهي، أغمضت عيني وهمست: أحب هذا الدفء في كفّيك .

-٤٣٩-

شعرت به يقترب نحوي ويهمس في قلبي: وأنا أحبكِ. فتحت عيني وكانت عينيه قريبة من عيني، كُنت أرى نفسي فيهُما، أرى الصدق والحُب وأمان الكون كله .

-٤٤٠-

قبل أن أنطُق، وضع إصبعه على شفتيّ وقال : أرجوكِ ليس الآن. كُنت سأسئله عن السبب لكنه سبقني قائلاً : أرجوكِ لا تقولي شيءً، ليس في هذه اللحظة .

-٤٤١-

أخذني إلى أقرب قمّه جبليه، قال إنه المكان الذي يلجأ إليه للتخلص من كل شيء، في كل مرة يزور المدينة يذهب أولاً إلى قبر والديه ثم يأتي هنا .

-٤٤٢-

يغتسل من نساء الليل بتعرية نفسه من كل الأفكار السوداء في رأسه، يقِف في أعلى الصخرة القريبة من المنحدر الخطِر، يترُك الرياح تتكفّل بتطهيرُه .

-٤٤٣-

طلبت منه أن نقف معاً فوق الصخرة لكنه قال : لا داعي لهذا بعد اليوم. أمسكته من يدُه وقُلت له : أريد أن اتخلّص من الأيام التي لم أعرفُك فيها .

-٤٤٤-

كان متردداً، لكنني أصريت على هذا فذهبنا معاً، كان ممسكاً بي بحذر، المدينة كلها صفراء، الشمس تحتضر والطيور تودّع السماء، وأنا أودّع الماضي .

-٤٤٥-

عدنا للمدينة بعد أن شهدنا الغروب كاملاً، لم تتفارق أصابعنا طيلة الطريق، كنت أقبّل أصابعه تارة ويقبّل أصابعي تارة و وددنا لو نستطيع تناولها .

-٤٤٦-

لم أستطِع أن أتوقف عن النظر إليه طوال الوقت، كان فاتناً بطريقة لم أرآها سابقاً، كان شفافاً أستطيع رؤيه روحُه وقلبُه، وأحببته كثيراً كثيراً .

-٤٤٧-

عندما وصلنا للعمارة، قُلت : لا أريد للسحر أن يزول الآن. نزل من السيارة وفتح لي الباب، ساعدني على النزول وهو يقول : هل تسمحين يا أميرتي ؟

-٤٤٨-

ناولتُه يدي وأنا أقول : طبعاً أيها الوسيم الغريب. أغلق باب السيارة وأخذني بخطى ملكيّه إلى باب العمارة، فتح لي الباب وقال : الجميلات أولاً .

-٤٤٩-

ضحكت وأنا أدخل وأسحبُه معي، مشينا إلى المصعد بخُطى شقيّه. قُلت له : لن يزول السحر ابداً طالما أنت معي. قال لي : هذا ليس سحراً، إنه حقيقة .

-٤٥٠-

صعدنا إلى الطابق حيث شقتي، خرجنا من المصعد وقلوب ورديه وحمراء تتدفّق من صدري وصدرُه وتطفوا في الهواء، كانت واضحه في عيني ولها رائحة الورد.

-٤٥١-

ودعته بحضن طويل وحين استدرت لأفتح باب شقتي كان لا يزال واقفاً، قُلت : أنت تعرف أني لن أدعوك للداخل. قال : لا أنتظر دعوة، أحب استقامة ظهركِ .

-٤٥٢-

احمرّت وجنتيَ ودخلت إلى شقتي وقُلت قبل أن أغلق الباب : سأشتاق للصباح. همَس: أنا وهوَ سنشتاق لكِ أكثر. أغلت الباب بهدوء وأنا غارقة بصوتُه .

-٤٥٣-

وضعت حقيبتي على المنضدة وفي صدري رغبة ملحّه للرقص، للقفز، للجنون، لأي شيء يقول للعالم أني واقعة في الحُب، سعيدة في الحُب، مكتفيه في الحُب .

-٤٥٤-

- أخبريني الحقيقة. جاء صوت صديقتي مثل سهم اخترق كل القلوب الهاربة من صدري. كانت تقف قُرب باب غرفتي وفي وجهها أشياء مُخيفه لا تبشّر بالخير .

-٤٥٥-

سألتها بتوتُر : أي حقيقة ؟ اقتربت لي فكشفَ الإضاءة القريبة عن دموعها السوداء وهي تقول بحزن كبير : هل كان بينكِ وبين خطيبي علاقة من أي نوع ؟

-٤٥٦-

صمتُ في دهشة. رأت هذا في وجهي فقالت بهدوء مفاجئ : أرجوكِ كفاكِ كذباً، أخبريني الحقيقة فقط. ابتلعتُ ريقي بصعوبة شديدة وأجبتها : كان خطيبي .

-٤٥٧-

شهقت فانسابت دمعتين من عينيها وقالت : ويبدوا أنه لم يتجاوزكِ حتى الآن. سألتها في صدمة : ماذا تعنين ؟ أجهشت في البكاء وقالت : تشاجرنا اليوم .

-٤٥٨-

- كنت احدثه عن اشياء تتعلّق بزفافنا وكان شارداً، وحين عاتبتُه أخبرني الحقيقة وهو غاضب، كان قلقاً عليكِ لأنكِ مع صديقه ولم يفكر بي ابداً .

-٤٥٩-

أخذتها إلى صدري وهي تبكي بشدّه، أخبرتها وأنا مؤمنه بهذا أنه تجاوزني منذ مدّه وأنه يحبها هي، وحدها فقط. لم تصدقني، كانت في فوضى مشاعر كبيرة .

-٤٦٠-

حاولتُ أن أتصل به لكنه لم يُجيبني، صديقتي تتحطّم أمام عيني وأنا في حيرة. وضعت هاتفي جانباً وحاولت تهدئتها حتى نامت مُكرهه وهي تنتظر صوتُه .

-٤٦١-

بقيتُ وحدي، انا ونور الهاتف في الغُرفة. كلّما انطفأ ضغطتُ زراً عشوائياً وجلستُ أنتظر، وصول رسالة أو مكالمه تحمل اسم أحدهُما على الشاشة .

-٤٦٢-

أرجوك يا الله، أريد لفرحتي هذه أن تكتمل وتكبر ويكون لها افراح صغيرة. لأجل الحُب الكبير في صدري لك، لأجل صلواتي وعين أمي، لأجل رضى أبي عنّي .

-٤٦٣-

في الصباح كان هاتفي لا يزال صامتاً وفارغاً من الرسائل الجديدة، حتى المدينة كانت هادئة بطريقة تُثير القلق، وشقتي يكسنها فراغ موحِش وبارد !

-٤٦٤-

صديقتي لا تزال نائمة بوجهٍ شاحب، تركتُ لها الغرفة وخرجتُ لأعد لها غذاء يُعيد لقلبها الطراوة، صديقتي ليست قويّه كفايةً لتتحمل صدمة كهذه .

-٤٦٥-

لا أظن أن هناك امرأة قادرة على تحمّل هذه الصدمة، أن تكتشف أن بقايا المرأة العالقة في حبيبُها هي صديقتها، قد تكون محطتها الأخيرة في التسامح !

-٤٦٦-

جاء الصباح ونضجَت البيضة المسلوقة ولم تُحادثني حتى الآن، اشتقتُ لك حبيبي، أكثر من شوقك لي أنت وهذا الصباح الباهت، وربما أحبك أكثر من حُبك لي .

-٤٦٧-

تناولنا الافطار بشهية معدومة، كنت املأ معدتي من أجلك وصديقتي تملأ معدتها من أجل حبيبها، ولا نعرف ما إذا كانا يفعلان الشيء نفسه لأجلنا أم لا.

-٤٦٩-

مضى اليوم خاوياً وبارداً، تخللته ألف مكالمه ورسالة من طرفُ واحد. خرجت للعمل وأنا كارهه له، الشيء الذي دفعني للخروج هو أملي بلقائُه هُناك .

-٤٧٠-

رُبما سأجد هذه المرّة قطّه بيضاء بشريطه حمراء في عُنقها، أو حديقة وردٍ كاملة. وكل ما كُنت أتمناه هو رؤيتُه بطولة الفارع وابتسامته الطاهرة .

-٤٧١-

عودتي للعمل ضعيفة، نسيت بعض أسماء العطور ومميزاتُها، لم أكن في أحسن حالاتي إطلاقاً، عيني تترقّب حضوره في أي لحظة وفي فُمه كلمه حُب واعتذار .

-٤٧٢-

حاولتُ أن أكون امرأة مرنة قادرة على التعامل بإنصاف مع تزاحُم المحل بالزبائن وتزاحم صدرُها بالأشواق والأسئلة. وفي لحظة ضعف انسحبت إلى مكتبي .

-٤٧٣-

حدّثتني صديقتي على الهاتف، لتحمّلني همّاً فوق الهم الذي أحملُه الآن، تقبّلتُ هذا بهدوء وأنهيت المكالمة بعد أن تأكدتُ أنها صارت أخفّ همّاً .

-٤٧٤-

أشعر أني محشوة بأشياء سيئة كثيرة، أسندت رأسي الثقيل على يديَ وأنا أضغط على صدغي أحاول أن أقتل هذا القلق، كم تكون الهواتف مزعجة في صمتها .

-٤٧٥-

وسط مرارة هذا الانتظار لاحظت الأشياء المصفوفة على المكتب لأول مرة، علبه الأقلام الخشبية والأوراق المتراصّة داخل الملف المنقوش به اسم المحل .

-٤٧٦-

فتحت الدرج الأول، وجدتُ كتاباً أسود، تناولته وأغلقت الدرج وفتحت الصفحة الأولى، كُتب عليها بخطٍ جميل : قبل أن تقرأين هذا عديني أن لا تبكِ .

-٤٧٧-

وفي الصفحة الثانية : أنتِ لم تعديني بهذا. والثالثة : لا تكوني عنيدة، عديني فحسب. وفي السطر الآخر : لأجل الحُب المتضخّم في صدري لعينيكِ .

-٤٧٨-

- حبيبتي يا لون الماء وطعم السماء ورائحة الأرض بعد المطر، حين تقرأين سأكون قد نفذتُ طلبكِ الأول وأنا في طريقي لأنفّذ الآخر، أرجوكِ لا تبكِ .

-٤٧٩-

- رحلتنا البارحة معاً قتلت الشخص الذي طالما تظاهرتُ أنه أنا، عرّتني أمام قلبكِ، وفعلت هذا لأثبت صدقي بأني سأقتُل كل من ينتهك حُرمة دمعتكِ .

-٤٨٠-

- وصدقيني، أنا الآن بحال أفضل كثيراً، لا ينقُصني شيء عدا شعركِ وشفتيكِ وأتمنى لو تبتسمين لي الآن، أرجوكِ أريد أن أشعُر بها وأنا بعيد .

-٤٨١-

- أتمنى أن تغفري لي خطيئة الخيانة والغدر، أنا السبب وراء طردكِ من العمل، وراء وجعكِ الآن وهو الشيء الوحيد الذي لا أستطيع اصلاحه لأني راحل .

-٤٨٢-

- مثلما طلبتِ مني حبيبتي، سأرحل ولن أعود أبداً، ولتعلمي أني كُنت سأُقدِم على هذا حتى لو لم تطلُبيه، لأني رجُل ضعيف لا يملك جنّه يقدمها لكِ .

-٤٨٣-

- رجُل عادي، عاجز، فقير، فارغ، رجُل لا يستطيع أن يزرع لكِ في كل خطوة تخطينها على الأرض وردة، أمرُ بسيط كهذا عاجزُ عنه، فكيف سيكون في الحُب ؟

-٤٨٤-

- إني أعلم والله يعلم أنكِ المرأة الواحدة في هذا الكون وبقيّه النساء دونكِ. ولتعلمي أنكِ حبيبتي، حبيبتي، حبيبتي، التي لا أستحقُها ابداً .

-٤٨٥-

- أرجوكِ، لا تجعليني أقتل نفسي مرةً أُخرى الآن، توقّفي عن البُكاء، توقّفي وأخبريني بالكلمة التي علقَت في شفتيكِ في قمّه الجبل، وقتُها مناسب .

-٤٨٦-

أغلقتُ الكتاب وأنا مُنهارة، أبكي بصمت موجع، ينهَش قلبي ويمضغه بقسوة، كانت الحياة تخرُج من عيني وروحي تتسرّب مع كُل زفرة تضرُب صدري وتهرُب .

-٤٨٧-

أصابعي لا تزال عند نهاية النص الأخير في الصفحة وسط الكتاب، يدي الأخرى على الغلاف، خائفة من نهايتُه، لأني سأفقد صوتُه للأبد وإن كان على ورق !

-٤٨٨-

لا أريد أن يحدث هذا، أرجوك أخبرني في النهاية أنها خدعة، أخبرني أنك كنت تعبَث بأعصابي كما كنت تفعل دائماً، لن أغضب، سأقبّلك والله لو فعلتها !

-٤٨٩-

أرجوك يا حبيبي، يا ماء قلبي وغذاء روحي، يا دائي ودوائي، لا ترحل. لا تفعل هذا أرجوك، كيف ستعبُرني الشمس كل يوم ويزورني بعدها القمر دونك ؟

-٤٩٠-

لأجل الدقيقة الواحدة التي قرّبتني لك، لأجل حُضن الحياة وغصن قبلات زهر الكرز، لأجل الموسيقى في جسدي، لأجل عين والدتُك وصلواتُها البيضاء .

-٤٩١-

لأجلنا، لأجل أصابعنا والسنتيمترات القليلة التي تفصل كتفُك عن كتفي، لأجل الهواء الذي خلّصني من حياتي قبل أن أعرفُك، لأجل شفتيك وعينيك وصوتك .

-٤٩٢-

لا ترحل، وإذا فعلتها خذني معك إلى المكان الذي تشتهيه نفسك، سيكون في عيني جنّه وإن كان أرضاً جرداء، لا تتركني وحيدة لقسوة الساعات والدقائق .

-٤٩٣-

يتضخّم حُزني كلما انتهى الرنين في الهاتف ولم يُجيب عليه، ورسائلي لازالت عالقة في مُنتصف الطريق لم تصله، كُنت أختفي أكثر في كل دقيقة تمضي .

-٤٩٤-

عزلني هذا الانتظار الفارغ من الأمل عن الحياة، الكون كله استدار عني وأعطاني ظهره، ولستُ مهتمة لهذا، سيلتفت لي حين تنتهي خدعه حبيبي السيئة .

-٤٩٥-

ومع مرور الوقت يكتسيني الجفاف وحبيبي لا يزال مستمراً بهذه الخدعة، إنه يختبرني، يُريد أن يعرف مقدار صبري، سأنتظرُك حتى في حيواتي الأُخرى .

-٤٩٦-

الكتاب لا يزال في حقيبتي، وليس عندي نية في تكملته حتى يأتي هو ويُخبرني بالنهاية، بصوتُه وابتسامتُه، بلون الحياة في عينيه، وسأقترب لتقبيلها .

-٤٩٧-

كُنت أقنع نفسي بهذه الكذبة لأيام، نسيتُ فيها صديقتي التي اندثرت سعادتها كلها بسببي، ونسيتُ أن ألتفِت للمرآة لأرى المرأة التي أصبحتُها الآن .

-٤٩٨-

كُنت هزيلة ويابسة، ملابسي أصبحت فضفاضة لدرجة مُخيفة، وفقدتُ حِس الاهتمام بوجه صديقتي، ولم ألحَظ أنها الآن عروساً محطّمة، كرهتُ نفسي لهذا .

-٤٩٩-

في محاولة خجولة لإصلاح ما تبقى من سعادتها، أخبرتها أني سأجده وسأتحدث إليه وسيعود كل شيء كما كان، وبكل البياض في صدرها آمنت بقُدرتي على هذا .

-٥٠٠-

أرسلتُ له رسالة نصيه فيها موعد ومكان محددان وذيلتُها بأني في حاجه للحديث معه، سبقتُه إلى هناك رُغم أن أملي في أن يأتي كان ضئيلاً، لكنه أتى !

-٥٠١-

كانت طاولتنا قُرب نافذه مطله على الشارع، الجوّ في الخارج جميل والسماء تُمطر، الساعة الثانية في الظهيرة، على الطاولة كوب قهوة وكأس ماء .

-٥٠٢-

أدهشتُه نحالتي وادهشني الحُزن الكبير في وجهه، كان مظهره فوضوياً، ذقنُه كثيف وشعرُه غير مرتب، حتى ملابسه لم تكن متناسقة، على غير العادة !

-٥٠٣-

بدأت بالحديث : لا أعرف ماذا حدث لك، هل تستطيع أن تشرح لي؟ صمت لبُرهه، كان يتأملني فيها بنظرة غريبة، نظرة تعاطف وخوف وحزن وأشياء سوداء أخرى .

-٥٠٤-

أجابني بهدوء : لقد أخطأت، لم أستطيع أن افهم مشاعري. قُلت : أنت تحبها، وهذا لا نقاش فيه ولا شك. تجاهل كلامي وأكمَل : كُنت مشوّشاً وحائراً .

-٥٠٥-

- وبعد أن عرفت كُل شيء، شعرتُ بأن ما فعلته معكِ كان خطأ، وساورني شعورُ بالندم لأني أنهيت خطوبتنا. ضاقت عينيه حين قال : وهذه ليست الحقيقة .

-٥٠٦-

انقبض قلبي لهذا المسار الذي آل إليه حديثنا، ابتسم في مرارة وهو يقول: إنها حتى ليست قريبة للحقيقة ابداً، كنت أنانياً معكِ ومع صديقي وحبيبتي .

-٥٠٧-

- أردتُ أن أفوز بكل شيء، ففقدتُ إنسانيتي حين دعستُ على قلب صديقي وأردتُ أن أعيدكِ لي، فخسرتُ كل شيء. لَمعت عينه في حُزن جعل في قلبي خدش .

-٥٠٨-

وضعتُ يدي على يدُه التي كانت ترتعش، أخبرتُه أنه لم يخسرني ولم يخسر حبيبته، هي لا تزال تنتظرُه وتُحبه وعلى هذا الزفاف أن يتمَ في الحال .

-٥٠٩-

وضع يدُه الأخرى فوق يدي وقال مبتسماً : أنتِ واحدة وأخيرة. تجمّدت ابتسامتي للحظة، أعادني هذا إلى صوته على الورق، فبدأ ينقر على قلبي ويؤلمني .

-٥١٠-

دنى مني قليلاً وهمَس وهو يضغط على يدي بتعاطف شديد : أنا آسف جداً. كان صوتُه قلقاً، أخافني، فسألته : هل هناك شيء لا أعرفه؟ هزّ رأسُه كارهاً .

-٥١١-

قال لي كُل شيء، أغلَق كُل ثغرة سؤال في رأسي، جعل قلبي يلتئم مجدداً ويغتسل بماء عيني، قال لي الحقيقة كاملة رُغم أنه قطع وعداً بأن لا يقول .

-٥١٢-

هرعَت إليه وأنا أبكي، كلمات العتاب تتزاحم في فمي وأنا أقود سيارتي إلى المُستشفى حيث يعيش حبيبي هُناك، بقلبٍ متضخّم كما أخبرني على الورق .

-٥١٣-

أخفى هذه الحقيقة عن الجميع، ولا أصدق أنه أخفاها عني، كنت الأقرب إلى صدره، حبيبته التي تنازلت عن علاقتها مع الحياة ليكون انتظارها له لائقاً .

-٥١٤-

انقبض قلبي حين أعطتني موظفه الاستقبال في المستشفى عنوان الغرفة الخاصّة به، كانت خطواتي لاهثه وخائفة، وعيني المخذولة لم تتوقّف عن البُكاء .

-٥١٥-

فتحت الباب دون أن أطرُقه، اندفعت للداخل ورأيتُه شاحباً على السرير، وإلى جانبه ممرضه تقوم بواجبها. حين نظر لي، بدت على وجهه صدمه كبيرة .

-٥١٦-

طلب من الممرضة أن تخرج حالاً. فتركت ما بيدها وهربَت، سألني غاضباً: ماذا تفعلين هُنا؟ لم أستطِع أن أقول شيءً، طعم المرض في صوتُه أوجعني .

-٥١٧-

كُنت أبكي وأنا أنظر إليه، يسكُن صدره ألماً لا أستطيع أن أفعل حياله شيء. نهَرني قائلاً: توقفي عن البُكاء. هزّتني خشونة صوتُه رُغم التعب .

-٥١٨-

اقتربتُ نحوه وأنا أقول بصوتٍ مبحوح : توقّف، يكفي تظاهر وادّعاء. لم يتعاطف مع جسدُه الذي يأن ولا وجهه المُرهق، نظرتُه لي قاسية، خدشت قلبي .

-٥١٩-

قام من سريره بصعوبة حاول أن يُخفيها عني، هرعت إليه لأساعده لكنه أشار بيده وهو يقول: لا تقتربي، التقط نفساً عميقاً وأكمل : أريدكِ أن ترحلي .

-٥٢٠-

هزّيت رأسي نافيه وقُلت : مستحيل، لن أدعك تخدعني من جديد. حاول أن يقِف مستقيماً أمامي، أراد أن يُبرهن لي أنه لا يزال قادراً على هذا وأكثر .

-٥٢١-

انسابت على خدي دمعة وقُلت: أنا أحبك. لانت ملامح وجهه لهذه الكلمة، وغابت القسوة عن عينيه للحظة، خرج الكلام من قلبي: أريد أن أبقى معك دائماً .

-٥٢٢-

شهقت وبدأت أبكي من جديد، أخذني إلى صدرُه، وحين تحسست نبضات قلبُه بدأت أتألم أكثر، رفعت عينيَ إليه وقُلت : عِدني أن لا تترُكني وحدي أبداً .

-٥٢٣-

قبّل جبيني وعينيّ، ثُم مسح دموعي، لمحت في وجهه هدوء أخافني، وأنا قريبةً منه إلى هذا الحد، وبكل هذا الامان المُحيط بي الآن، كنتُ خائفة .

-٥٢٤-

همَس لي بكل الحُب في جسدُه : لا يجب أن تقلقي وتحزني، لن أستطيع أن اقتلني أكثر من مرّة واحدة. قاطعتُه : لن تفعل. ابتسم : أعرف، الأيام ستفعل .

-٥٢٥-

سبقني بالكلام : حبيبتي، لأجلي أرجوكِ، أخرجي من هذا المكان بهدوء ولا تلتفتين للوراء. بدأت أذوي بين يديه وأقول : لا أستطيع، لا أريد أن أفعل .

-٥٢٦-

شعرتُ به يضغط على ذراعيّ وهو يقول : ستفعلين والآن، ستفعلين هذا لأجلي. تحجّرت عينيّ بالدموع وخرج صوتي مخذولاً : توقّف عن إيذائنا أرجوك .

-٥٢٧-

دفعني بعيداً حتى كاد قلبي أن يسقُط، نادى الممرضة وهو غاضب، طلب منها أن تأخُذني للخارج فامتنعت، وتوسلتُه ليسمعني لكنه رفض، وأعطاني ظهره .

-٥٢٨-

طلبت مني الممرضة ان أخرج بهدوء وإلا سيخرجونني بالقوة لأن وجودي خطر على صحة المريض، هي لا تعرف شيء وهو لن يهتم وأنا لن أبقى هنا دقيقة واحدة .

-٥٢٩-

خرجت من المستشفى وكانت السماء لاتزال تُمطر، ركبتُ سيارتي على عجل ودعست على البنزين وانطلقت. تمنّيت أن يطول الطريق كفايةً لأبتعد عن ذاكرتي .

-٥٣٠-

لا أصدق أنه دفعني وطردني وداس على قلبي واعطاني ظهرُه، رُغم حاجته لي التي كانت تجري في دمُه، كبريائُه طاغٍ حتى على المرض والحُب والحاجة .

-٥٣١-

وصلتُ إلى شقتي وأنا مبللة، كانت صديقتي مع خطيبها في لحظة رضىً تام، حين استدارا نحوي سقطت على الأرض، لمحتهما يقتربان نحوي قبل أن أفقد الوعي .

-٥٣٢-

هذه الفترة التي غبت فيها عن الحياة، رحمة كبيرة من الرب، شعرتُ بحُبه يلمس قلبي ويقشّره من الأحزان، حُب الرب يؤلمنا أحيان ويقويّنا دائماً .

-٥٣٣-

عُدت للحياة أكثر صلابة، سررتُ لأجل صديقتي التي تصالحت مع خطيبها أخيراً ولا تزال تحتفظ بخاتمه. وسررتُ أكثر لأنهما حددا موعد زفاف، قريب جداً .

-٥٣٤-

أدركت ان الأشياء لا تتعطل عندما نحزن، الحياة لا تتوقّف ولا تلتفت لأحد، إنها تمضي مستمرة وعليك أن تعرف كيف تمضي معها دون ان تسبقها أو تتأخر .

-٥٣٥-

أول شيء فعلته بعد أن استعدتُ عافيتي، ذهبتُ لزيارتُه، كنت أرتدي فستان أخضر تعلوّه سترة قُطنيه، حذاء منخفض وذيل حصان طويل في مؤخرة رأسي .

-٥٣٤-

معي باقة ورد ملوّنة وصندوق فطائر ورقيّ، حين سألتُ عنه في الاستقبال أخبروني أنه لم يعُد مريضاً هُنا، خرج من المُستشفى قبل أسبوع تحديداً .

-٥٣٥-

أسعدني هذا الخبر وحزنتُ لأنه لم يُخبرني، ولم يسأل عني حتى، لم يتواصل مع صديقه ولا حتى صديقتي، إنه يفعل أشياء حمقاء لا أستطيع أن أفهمها .

-٥٣٦-

يرفُض المساعدة من أحد ولا يتردد هو في مساعدة الآخرين، بل إنه يقوم بها دون أن يُطلب منه شيء، يحشر أنفُه في أشياء لا تعنيه لأجل إصلاحها فقط .

-٥٣٧-

الإصلاح الذي يتناسب مع رغباته ومسيرة حياته وحياة الآخرين، إنه يضع فرضيات في رأسه يؤمن بها ثم يسعى لتحقيقها في حياة أحدهم وتعود له بالمنفعة .

-٥٣٨-

ثُم يتظاهر أن هذه الأشياء حدثت من قُدرة السماء، ولن يشك احدهُم في طهارة يديّه من دماء الساعة والأيام والصُدف، إنه رجُل واحد، واحدُ وأخير .

-٥٣٩-

وأنا أحببتُه ولا أزال وسأبقى دائماً، مهما بدا سيء ودنيء، أعرف أنه رجل أبيض جداً، رجل يخطئ ويعتذر، رجل لا يزال يسعى لإرضاء والديه النائمان .

-٥٤٠-

صلّيت لأجله كثيراً، طلبت من الله أن ينزع المرض من صدرُه ويُعيده لي قريباً، لأني أفتقده بشدّة تُعرقلني عن المضي مع الحياة جنباً إلى جنب .

-٥٤١-

رافقتُ صديقتي في كل مرحلة من مراحل تجهيز زفافها الذي سيكون في غد، أحببتُ بساطتها في إختيار الأشياء، من أكواب المشروب إلى الخزامى البيضاء .

-٥٤٢-

سيكون زفافاً صغير مقصورُ على الاصدقاء والأهل، اسمه كان موجوداً في قائمة المدعوّين وأعرف أنه لن يأتي، رُغم أنهُ كل هؤلاء في عيني وقلبي .

-٥٤٣-

فستانها الذي اختارته كان هادئاً يتناسب مع ابتسامتها اللؤلؤية، وفستاني كان طويل بظهر مفتوح. سيكون مُغرياً للرقص لو خرجت من رأسي إلى الواقع .

-٥٤٤-

حاولتُ أن أتصل بِه تِلك الليلة، لم يُجيبني ابداً، بعثتُ له برسالة كتبت فيها : ينقُصني شريك في الرقص ليلة الزفاف، فبَعث لي : سأكون مشغولاً .

-٥٤٥-

لم أصدق أنه راسلني أخيراً، اتصلتُ به مرّة ومرّتين وثلاث ولم يُجيبني، تجاهلت حتى رسالتُه القاسية وفرحتُ لأنه التفت لي أخيراً واطمأن قلبي .

-٥٤٦-

بعثتُ له قبل أن تغفوا عيني : أحبك. وفي الصباح وجدتُها تزاوجت وأصبحت ثلاثاً : أحبكِ، أحبكِ، أحبكِ. مذيّلةً باسمه، فانتهت فائدة المساحيق .

-٥٤٧-

كان معي طيلة الوقت، منذ وقوفي أمام المرآة بمنشفة في وسطي وأخرى على شعري إلى أن وقفت بالفستان والشعر المعقوص والكحلة الطويلة على جفني .

-٥٤٨-

كان الزفاف مثالياً، مثل حكايات الأميرات الخرافيّة، لم يكُن حاضراً. ولم يشهَد لحظة إعلانهُما كزوجين جديدين في الحياة، ولم يرقُص معي حتى .

-٥٤٩-

كنت أتفقّد هاتفي بين لحظة ولحظة، أنتظر أن يأتيني شيء منه يُخبرني أنه سيتأخر، لكن لا شيء وطال صمتُ هاتفي المُزعج حتى انسحبت بعيداً عن الناس .

-٥٥٠-

كُنت في الحمامات الخاصّة بالسيدات، حقيبتي على الرف الخزفي بجانب هاتفي ويدي مستندتان عليه، أنظر إلى وجهي الذي يفتقد عينيه حين تذوبان فيه .

-٥٥١-

فتحت حقيبتي لأضع أحمر شفاه، شعرتُ بدفءٍ يقترب من الخلف، مرّت أنامل أعرفها تماماً على ظهري، كشفَت عن عُنقي وأُذني ليضع همسة بأذني : تزوجيني .

-٥٥٢-

رفعتُ عينين واسعتين إلى المرآة لأراه خلفي، شفتيه قريبتان إلى أُذني وفي الأسفل يدُه تحتضن علبة مخمليّه، تلمع في وسطها ألماسة فاتنة .

-٥٥٣-

كُنت أشعر بأنفاسه الدافئة تلتصق في جلدي وتبتلعها مساماتي، قال لي: تعالجت وتحسّنت حالتي وأريدكِ أن تكوني زوجتي الآن، علماً أني لن أقبل رفضك .

-٥٥٤-

رفع عينيه لينظر لي في المرآة وأكمل: وبالصدفة نحن في زفاف. ضحكت في خجل وقلت: هذا جنون. دنى مني أكثر وهمس: الجنون أن أراكِ الآن ولا أتزوجكِ .

-٥٥٥-

استدرتُ نحوه ووقفتُ أمامه، تنهّدت بعُمق ثُم قُلت : أنت تُدرك أنك تفعل هذا في المكان الخطأ ؟ تجاهلني قائلاً : فقط أجيبيني بالموافقة الآن .

-٥٥٦-

كانت هذه اللحظة الأكثر جنوناً في حياتي، كُنا مخطوبين لرُبع ساعة وتزوّجنا بعدها، تحت دهشة الأصدقاء، ثوب زفافي كان أحمر ولم تكن معي باقة ورد .

-٥٥٧-

كُنت أعيش في حُلم، لا أصدق أن الرجُل الذي أحببته صار لي الآن وللأبد. ولم أتوقع أن الرقصة التي ستجمعنا هذا اليوم هي رقصه زواجُنا الأولى .

-٥٥٨-

رقصتنا طالت، امتدّت لساعات، كُنا نشرب أصوات بعضنا حتى ثِملنا بها، همسه تتبعها همسه وضحكات لا يعرف سرُها أحد، وحُب كبير يُحيطنا بهالةِ نور .

-٥٥٩-

لا أستطيع التوقّف عن تأمُله، من شعرُه المرتّب إلى حاجبيه وقمّه أنفُه وثغرُه الذي صار مباحاً لي، ذقنه الخشن وتفّاحتُه أعلى البابيون السوداء .

-٥٦٠-

قال لي ونحنُ نتمايل : أنا أسعد رجال ظهر الأرض، لأنكِ صرتِ لي. قُلت : لم أكُن يوماً لغيرُك. قبّل باطِن كفّي وقال : أحبكِ يا كُل صلوات أمي .

-٥٦١-

ومضت الليلة كلها مُتخمة بالسِحر، في كُل مرّة يختلط صوتي بصوتُه ترتفع في الهواء غيمة، تُشبه حلوى القُطن، تذوب على صوت قُبلة وتتبخّر .

-٥٦٢-

هذه المرّة، لم ترفُضنا الحياة، بل كانت ليّنه وغضّه وهي تعبر الطريق بيني وبينه، وتملأ كُل مساحات الفراغات بيننا بالحُب الفائض من قلبي وقلبه .

-٥٦٣-

نمتُ وأنا أحتضن يدُه إلى صدري حتى الصباح، حين فتحت عيني كانت أصابعُه قريبةً من شفتي، فقبلتُها وأنا أقول بصوت ناعس : سأجعلها وجبة إفطاري .

-٥٦٤-

استدرتُ نحوه وأنا أبتسم، حين وقعت عيني علية اختفت ابتسامتي سريعاً، كانت عينيه نصفُ مفتوحتان وثغرُه أصفر وملامحُه باردة، جعل قلبي يصرُخ !

-٥٦٥-

لمستُه وهزّيته وضربتُه كي يتوقّف عن هذه المزحة السيئة لكنه لم يفعل، لم يفاجأني بضحكة ولم يقبّلني وفي فمُه كلمه اعتذار، لم يتحرّك أبداً .

-٥٦٦-

رحل، وتركني للصباح وحيدة، أحكي له حكاية البكاء الطويل الذي لم يتوقّف حتى هذه اللحظة، البكاء الذي أخذ ماء عيني وتركها للجفاف والتكسّر .

-٥٦٧-

أحكي له عن كذبه حبيبي الأخيرة، التي جعلتني أعتقد أن الرب استجاب لدعوتي بنزع المرض عنه، وجعلتني أكون له وجعلتني أرملةً في أول صباحٍ أحمر .

-٥٦٨-

أحكي له عن الورقة في الكتاب التي تركها لي قبل أن ينام طويلاً ، التي كتبها بخطٍ مُتصالح مع الموت وراضٍ : أنا الآن أسعد رجُل في باطن الأرض .

-٥٦٩-

كل الحكايا المتكدّسة داخلي تنام في بُكاء وتستيقظ على بُكاء ولا تكُف عن الترديد بأنه كان عندي حبيب واحد وأخير، رحل وتركني أخيرة و وحيدة .

‹

انتهت

ديسمبر / ٢١ / ٢٠١٢م